كلية الدراسات العليا

قسم أصول الدين

الابتلاء في القرآن الكريم

"دراسة تحليلية موضوعية"

إعداد

شيماء عبد الحميد عبد المجيد النتشه

إشراف

د.جعفر عايد دسه المشارقة

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات نيل درجة الماجستير في أصول الدين– فرع التفسير من كلية الدراسات العليا في جامعة الخليل

1440هـ - 2019

جامعة الخلـــــــيل
كلية الدراسات العليا
قسم أصـــول الديـــن
التفسير وعلوم القرآن

الابتلاء في القرآن الكريم
"دراسة تحليلية موضوعية"

Tribulation in The Holy Quran
an Analytical and Objective Study

إعداد الطالبة: شيماء عبد الحميد عبد المجيد النتشه

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت في يوم الخميس الموافق 25-4-2019 وقد تكونت لجنة المناقشة من السادة:

- الدكتور: جعفر عايد دسه المشارقة .....مشرفاً ورئيساً
- الدكتور: محمد يوسف الـــديك .....ممتحناً خارجياً
- الدكتور: هارون كامل الشرباتي .....ممتحناً داخلياً

الإهداء

إلى أرواح الشهداء العظماء... إلى من قدموا اعمارهم وزهرة شبابهم... اسرانا البواسل

إلى المرابطين الصابرين على هذه الأرض المباركة...

إلى الغالية التي لا أرى الأمل والجمال إلا من عينيها أمي الحبيبة
إلى القلب الكبير أبي ...

إلى من أخذ بيدي ...وكان العون والسند ورسم الأمل في كل خطوة مشيتها في طريقي
زوجي الحبيب...

إلى مَن حبهم يجري في عروقي... شقيقتي... وأشقائي

إلى أزهار النرجس التي تفيض حُباً وطفولةً ونقاءً وعطراً أطفالي
أُسَيد وسلسى ...
إلى الأخوات اللواتي لم تلدهن أمي ... ينابيع الصدق الصافي... صديقاتي

إلى كل مَن أشعل شمعة في دروبنا و من أعطى مَن حصيلة فكره لينير دروبنا إلى الأساتذة
الكرام في كلية الشريعة ...
إلى كل هؤلاء أُهدي هذا الجهد

الشكر والتقدير

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ سورة النمل: الآية 19.

الحمد لله الذي وفقني لتقديم هذا البحث ويسر لي أمري، ومهدَ لي طريق العلم النافع، اللهم لك الحمد ولك الشكر بتوفيقك وإعانتي...

أتقدم بالشكر الجزيل إلى المشرف على رسالتي الدكتور جعفر دسه بارك الله في علمه على ما بذل وقدم من مجهود لإتمام هذا البحث.

كما أتقدم بخالص شكري إلى الأستاذين الكريمين عضوي لجنة المناقشة لتفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة، فضيلة الدكتور هارون كامل الشرباتي، وفضيلة الدكتور محمد يوسف الديك.

وأتوجه بالشكر إلى المربي الفاضل المهندس عيسى الجعبري على ما قدم من ملاحظات قيمة وتوجيهات مهمة، وأتقدم بالشكر أيضاً للدكتور الفاضل المعطاء الدكتور إسحق الجعبري حفظه الله على تدقيقه اللغوي لرسالتي.

وكل الشكر والعرفان والمحبة إلى اساتذتي الأفاضل الأكارم اهل العلم والعطاء في كلية الدراسات العليا.

والشكر موصول لزميلاتي اللواتي كنّ لي يد العون والنصح في إتمام بحثي.

فهرس الموضوعات

الرقم	الموضوع	رقم الصفحة
.1	الاهداء	ت
.2	الشكر والتقدير	ث
.3	فهرس الموضوعات	ج _ خ
.4	ملخّص البحث باللغة العربية	د
.5	ملخّص باللغة الانجليزية	ذ
.6	**المقدمة**	ر
.7	سبب اختيار البحث	ز
.8	أهمية البحث	ز
.9	أهذاف البحث	س
.10	الدراسات السابقة	س_ ش
.11	منهج البحث	ش–ص
.12	خطة البحث	ص _ ظ
.13	**الفصل الأول: مفهوم الابتلاء ومرادفاته ومقاصده**	1
.14	**المبحث الأول: مفهوم الابتلاء لغةً واصطلاحاً**	2
.15	المطلب الأول : الابتلاء لغةً	2
.16	المطلب الثاني: الابتلاء اصطلاحاً	3
.17	**المبحث الثاني: لفظ الابتلاء ومرادفاته في القرآن الكريم، وعلى من يقع الابتلاء**	4
.18	المطلب الأول: لفظ الابتلاء في القرآن الكريم	4 – 10
.19	الطلب الثاني: مرادفات الابتلاء في القرآن الكريم	10– 15
.20	**المبحث الثالث: مقاصد الابتلاء وعلى من يقع**	15
.21	المطلب الاول: مقصد الابتلاء	15 – 24

.22	المطلب الثاني: على من يقع الابتلاء	24 – 27
.23	**الفصل الثاني: أنواع الابتلاء في القرآن الكريم، والفرق بين ابتلاءات أمة محمد (ﷺ) وابتلاءات بني إسرائيل**	28
.24	**المبحث الأول: ابتلاءات أولي العزم من الرسل –عليهم السلام– في القرآن الكريم**	29 – 30
.25	المطلب الأول: ابتلاء نوح (عليه السلام) مع قومه ومع ابنه ومع زوجته	30 – 39
.26	المطلب الثاني: ابتلاء إبراهيم (عليه السلام) مع الملك وقومه، وأبيه، وعقيدته، وابنه إسماعيل وذبحه.	39– 49
.27	المطلب الثالث: ابتلاء موسى(عليه السلام) والمحن التي مّر بها	49 – 55
.28	المطلب الرابع: ابتلاء عيسى(عليه السلام) مع بني إسرائيل، ومحاولة قتله.	55 – 59
.29	**المبحث الثاني : ابتلاءات خاتم النبيين محمد (ﷺ) في القرآن**	60 – 62
.30	المطلب الأول: الابتلاء باليتم	62 – 63
.31	المطلب الثاني: الابتلاء بالفقر	64 – 67
.32	المطلب الثالث: الابتلاء بفقد الولد	68 –70
.33	المطلب الرابع: الابتلاء في سبيل الدعوة	71– 78
.34	**المبحث الثالث: صور من ابتلاءات المؤمنين**	79– 83
.35	المطلب الأول: الابتلاء بالخوف والجوع	83– 87
.36	المطلب الثاني: الابتلاء بالمال	87– 91
.37	المطلب الثالث: الابتلاء بالنفس	91 – 100
.38	المطلب الرابع: الابتلاء بالشّر والخير	100– 102
.39	**المبحث الرابع: الفرق بين موقف أمة محمد ﷺ وبني إسرائيل من الابتلاءات**	103 – 105
.40	المطلب الأول : قضيّة الصّيد	106– 107
.41	المطلب الثاني: قضيّة القتال	107 – 109
.42	المطلب الثالث: قضيّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	110– 111

.43	المطلب الرابع: قضيّة النِعم	111 – 114
.44	**الفصل الثالث: منهج القرآن الكريم في عرض آيات الابتلاء وبيان أثر الابتلاء**	115
.45	**المبحث الاول: منهج القرآن الكريم في عرض آيات الابتلاء**	116
.46	المطلب الأول: تنوع جهة الخطاب في آيات الابتلاء	116– 121
.47	المطلب الثاني: الأسلوب والغاية في آيات الابتلاء	122 – 127
.48	**المبحث الثاني: أثر الابتلاء**	128
.49	المطلب الأول: أثر الابتلاء على الفرد	128– 133
.50	المطلب الثاني: واقع الابتلاء في مجتمعنا الحالي وأثره على المجتمع	133 – 148
.51	**الخاتمة**	149
.52	**التوصيات**	150 – 151
.53	فهرس الأحاديث	152– 153
.54	فهرس الأعلام	154
.55	قائمة المصادر والمراجع	155– 167

ملخص البحث:

تتركز هذه الدراسة على واحده من الموضوعات المهمة والسنة الجارية التي تخص الفرد بعقيدته وإيمانه ونفسيته وتخص الأمة بثباتها وانكسارها في ظل واقعها الأليم الذي تمر فيه ورفعتها وعزتها ونهوضها من جديد، وهذه الدراسة بعنوان (الابتلاء في القرآن الكريم دراسةً تحليليةً موضوعيةً).

يهدف هذا البحث إلى بيان الآيات المتعلقة بالابتلاء ودراستها دراسةً تحليلةً وموضوعيةً، وتظهر أهمّيته في تسليط الضوء على مقاصد الابتلاء و ذكر نماذج وصوراً من الابتلاء، وبيان الآثار المترتبه عليها، وبيان واقع الابتلاء في العصر الحالي، وقد اشتملت هذه الدراسة على مقدمة وثلاثة فصول، وخاتمة، على النحو الآتي:

الفصل الأول؛ تحدثت فيه عن مفهوم الابتلاء، ومقاصده وعلى من يقع.

أما **الفصل الثاني**؛ فتناولت فيه ذكر نماذج للابتلاء من حياة أولي العزم من الرسل عليهم السلام، وتتبعت الابتلاءات التي ألمت بهم، وذكرت نماذج من حياة خاتم النبيين ﷺ وما ألم به من ابتلاءات، وكذلك ذكرت صوراً من ابتلاءات المؤمنين، ووضحت الفرق بين ابتلاءات أمة محمد ﷺ وابتلاءات بني إسرائيل.

وفي **الفصل الثالث**؛ تناولت فيه آيات الابتلاء بالتصنيف والتحليل والدراسة فبينت منهج القرآن الكريم في عرضها والاسلوب والغاية منها ووضحت آثار الابتلاء على الفرد والمجتمع كما بينت واقع المجتمع في ابتلاءاته وسبيل النهوض وبث روح الأمل فيه وتصير المحنه الى منحه.

وفي خاتمة الدراسة خلاصة لأهم النتائج والتوصيات التي توصلت اليها من خلال الدراسة.

Abstract

This study focuses on one of the most important and ongoing topics which related to the person's beliefs، faith and his psychology، and on the other hand study to the state of stability of the nation and its breaking in the painful reality that it lives. This study is titled (**Tribulation in The Holy Quran، an Analytical and Objective Study**).

This research aims to verses related in Tribulation and studied it by an analytical and objective study، and highlights the purposes of the tribulation، mentions forms of it، clarifies it results and the impact it in the current time.

This study included an introduction، three chapters and a conclusion، as the following.

In the first chapter، the researcher spoke about the meaning of Tribulation، and Tribulation synonyms in the Holy Quran، and clarified who is afflicted and what's purposes from it، also explained it with the evidence required.

In the second chapter، the researcher talked about some models of tribulation in the life of messengers (peace be upon them) and follow up the tribulations they went through، in addition to sorts of tribulation in the life of Prophet Mohammad (peace be upon him) ، and finally the believers' tribulations. Additionally، explained the difference between Islamic Nation and tribes of Israel.

In the third chapter، the researcher presents an analysis، detail and classification of the verses of tribulations ، so be mentioned the method of the Quran's in the presentation of the verses of tribulation's، the style and purposes of these verses. Also the impact of tribulation on individuals and society، how is Spread the spirit of hope and transform the tribulation into a reward.

In the last chapter، the study concluded the most important results and recommendations of the study.

المقدمة:

إن عظمة القرآن الكريم أنه لم يترك أمر من أمور العباد في دنياهم وأخراهم إلا وبيّنهُ لهم، فسبحانه هو القائل في كتابه العزيز: ﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴾**النحل:** ٨٩، **فلم يغفل كتاب الله الحكيم عن الحديث عن أحوال العباد وحياتهم، وما يمرون به عباد الله عزّ وجلّ، فكان للابتلاء نصيب من الذكر في القرآن الكريم، قال تعالى في كتابه العظيم:** ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ﴾ **الملك:** ٢، **فالابتلاء هو السّنة الجارية على الخلق، على الفرد والجماعة على حد سواء، ولا احدٌ سالمٌ منه، به يميّز الله الصادق من الكاذب، وهو أعلم بمَن خلق سبحانه وتعالى.**

تعددت الآيات التي تتحدث عن الابتلاء، فكان لا بُدَّ من الوقوف على هذه الآيات وبيانها وتفسيرها لمعرفة مدلولاتها وأخذ العبرة منها، لاسيما اننا افراداً او جماعات نعاني من الابتلاءات في واقعنا الذي تحييه أمتنا المنكوبة، فكان لا بُدَّ من التعرف على معنى الابتلاء ومقصده، وكيفية التعامل مع هذه السّنة الربانية، حتّى نكون بها من الفائزين المفلحين.

حدود البحث :

اقتصر البحث على ذكر آيات الابتلاء الواردة في القرآن الكريم ودراستها دراسةً تحليليةً وموضوعيةً، والحديث عن الابتلاء بشكل عام، وابتلاء الفرد والأمة بشكل خاص، وربطت ذلك بواقع الأمة، مع الاستعانة ببعض الأحاديث الشريفة .

سبب اختيار البحث:

كان وراء اختياري لهذا البحث عّدة أسباب، أهمّها:

- أهمية هذا الموضوع في حياة الفرد والمجتمع، وما يترتب عليه من أثر في الدنيا والآخرة.
- وضع تصور شامل لسنة الابتلاء.
- الوقوف على الجهود الدراسات السابقة حول هذا الموضوع والإضافة عليها .
- واقع الأمة الإسلامية وما تعانيه من ابتلاءات وويلات، ورغبتي في غرس أثر هذه الآيات المباركات حول الابتلاء في حياتي وحياة الناس، وإعادة الثقة في نفس الفرد والأمة الإسلامية، وبثّ الصبر والأمل في النفوس.

أهمية البحث :

تبرز أهمية البحث في النقاط الآتية:

- إعطاء الصورة الكاملة حول الابتلاء في القرآن الكريم، والكشف عن دلالات آيات الابتلاء وأثرها في النفس.
- كون الموضوع يتعلق بسنة ربانية لا ينفك عنها انسان.
- وكون الموضوع يجهله كثير من الناس.
- معرفة أثر الابتلاء على سلوك الفرد والجماعة، اظهار الفائدة العملية من خلال رفع معنوية الفرد المبتلى وتسليته، وغرس روح الصبر والتحمل في الأمة الجريحة في وقتنا الحاضر.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث لتحقيق الآتي:

- ذكر وجمع الآيات الوارده حول الابتلاء في القرآن الكريم.
- توضيح مفهوم الابتلاء، وبيان مقاصده وأشكاله وآثاره.
- تحليل آيات الابتلاء واستنباط الأثر منها.
- إعادة الثقة في نفس الفرد والأمة الإسلامية، وبث الصبر والأمل في النفوس.

الدراسات السابقة :

بعد البحث والنظر في الدراسات السابقة حول هذا الموضوع، وجدتُ دراساتٍ تناولت جانباً معيناً من آيات الابتلاء، فتركزت معظم هذه الدراسات على الجانب الموضوعي للابتلاء، وكان الاكتفاء في الدراسات السابقة من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، والحديث عن الابتلاء من جانبه الموضوعي فحسب، فقد كتب في هذه الموضوعات بعض الكتب والدراسات التي تناولته، أما بحثّي فقد اشتمل على الجانب الموضوعي والتحليليّ معاً، وهذا ما لم أجده في الدراسات السابقة، ومنها على سبيل المثال:

1. سُنة الابتلاء في القرآن الكريم، رسالة للطالب رجب نصر الأنس، الذي تناول فيها موضوع الابتلاء من الكتاب والسنة، من الجانب الموضوعي فحسب.
2. التربية بالابتلاء– دراسة تربوية لآيات الابتلاء في القرآن الكريم، د.حمدي سلمان معمر، اقتصر هذا البحث على الابتلاء من الناحية التربوية، وهو بحث مكون من سبع وعشرين صفحة.

3. **الابتلاء في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه، محمد عبد العزيز الحمادي الرحالي،1408هـ/1988م، وقد تناولت هذه الدراسة الجانب الموضوعي للابتلاء.**
4. **بحث بعنوان "مفهوم الابتلاء في القرآن الكريم"، الدكتور نصّار أسعد نصّار، كلية الشريعة/جامعة دمشق-المجلد20-العدد الأول 2004، دمشق، وهو مكون من أربعين صفحة.**
5. **الابتلاء في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، باسم محمد محمد سيلان، جامعة الإيمان، الجمهورية اليمنية، وقد تناول فيه الجانب الموضوعي للابتلاء.**
6. **الابتلاء في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، محمد دوفش، الجامعة الاردنية، من التفسير الموضوعي للقرآن الكريم.**

منهج البحث :

اتبعتُ في بحثي المنهجَ الاستقرائيَّ والتحليليّ، وذلك من خلال الآتي :

- **جمع الآيات التي تتحّدث عن موضوع الابتلاء.**
- **دراسة الآيات القرآنية التي تتعلق بالابتلاء دراسةً تحليلية وموضوعية.**
- **الرجوع إلى كتب التفسير.**
- **عزو الآيات مع ذكر السورة ورقمها في الهامش.**
- **الحرص على عزو الأقوال الى قائليها.**
- **تخريج الأحاديث النبوية الواردة في البحث.**
- **ذكر دلالات الآيات وبيانها.**

- **الترجمة للأعلام غير المشهورين الواردة أسماؤهم في البحث.**

خطّة البحث :

احتوى البحث على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة على النّحو الآتي:

المقدمة: احتوت على موضوع البحث ومشكلته وحدوده، وسبب اختيار الموضوع وأهميته، ومنهج البحث ومحتوى البحث.

الفصل الأول: ويشتمل على: مفهوم الابتلاء ومرادفاته وعلى من يقع ومقاصده، وفيه ثلاثة مباحث، هي:

المبحث الأول: مفهوم الابتلاء لغةً واصطلاحاً، وفيه مطلبان، هما:

المطلب الأول : الابتلاء لغةً

المطلب الثاني: الابتلاء اصطلاحاً

المبحث الثاني: لفظ الابتلاء ومرادفاته في القرآن الكريم، وعلى من يقع الابتلاء وفيه مطلبان، هما:

المطلب الأول: لفظ الابتلاء في القرآن الكريم

الطلب الثاني: مرادفات الابتلاء في القرآن الكريم

المبحث الثالث: مقاصد الابتلاء وعلى من يقع، وفيه مطلبنان، هما:

المطلب الاول: مقاصد الابتلاء

المطلب الثاني: على من يقع الابتلاء

الفصل الثاني: ويشتمل على: أنواع الابتلاء في القرآن الكريم، والفرق بين ابتلاءات أمة محمد ﷺ وابتلاءات بني إسرائيل ، وفيه ثلاثة مباحث، هي:

المبحث الأول: ابتلاءات أولي العزم من الرسل –عليهم السلام– في القرآن الكريم، وفيه اربعة مطالب، هي:

المطلب الأول: ابتلاء نوح (عليه السلام) مع قومه ومع ابنه ومع زوجه

المطلب الثاني: ابتلاء إبراهيم (عليه السلام) مع الملك وقومه، وأبيه، وابنه إسماعيل وذبحه

المطلب الثالث: ابتلاء موسى(عليه السلام) والمحن التي مّر بها

المطلب الرابع: ابتلاء عيسى(عليه السلام) مع بني إسرائيل، وادعاء قتله.

المبحث الثاني : ابتلاءات خاتم النبيين محمد ﷺ في القرآن، وفيه اربعة مطالب، هي:

المطلب الأول: الابتلاء باليتم

المطلب الثاني: الابتلاء بالفقر

المطلب الثالث: الابتلاء بفقد الولد

المطلب الرابع: الابتلاء في سبيل الدعوة

المبحث الثالث: صور من ابتلاءات المؤمنين، وفيه اربعة مطالب، هي:

المطلب الأول: الابتلاء بالخوف والجوع

المطلب الثاني: الابتلاء بالمال

المطلب الثالث: الابتلاء بالنفس

المطلب الرابع: الابتلاء بالشّر والخير

المبحث الرابع: الفرق بين موقف أمة محمد ﷺ وبني إسرائيل من الابتلاءات ، وفيه اربعة مطالب، هي :

المطلب الأول : قضيّة الصّيد

المطلب الثاني: قضيّة القتال

المطلب الثالث: قضيّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

المطلب الرابع: قضيّة النِعم

الفصل الثالث: ويشتمل على: منهج القرآن الكريم في عرض آيات الابتلاء وبيان أثر الابتلاء، وفيه مبحثان، هما:

المبحث الاول: منهج القرآن الكريم في عرض آيات الابتلاء، وفيه مطلبان، هما:

المطلب الأول: تنوع جهة الخطاب في آيات الابتلاء

المطلب الثاني: الأسلوب والغاية في آيات الابتلاء

المبحث الثاني: أثر الابتلاء، وفيه مطلبان، هما :

المطلب الأول: أثر الابتلاء على الفرد

المطلب الثاني: واقع الابتلاء في مجتمعنا الحالي وأثره على المجتمع

وأما الخاتمة، فقد احتوت على نتائج البحث وخلاصة ما وصلت إليه، وذكر لبعض التوصيات.

وبعد، فما التوفيق إلا من الله وحده أسأله الإخلاص والتوفيق والسداد والتقوى، اللهم علّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، ونعوذ بك اللهم من علم لا ينفع، وادخلنا برحمتك في جناتك جنات النعيم.

الفصل الأول
مفهوم الابتلاء ومرادفاته ومقاصده

المبحث الأول: مفهوم الابتلاء لغةً واصطلاحاً:

المطلب الأول : الابتلاء لغةً

المطلب الثاني: الابتلاء اصطلاحاً

المبحث الثاني: لفظ الابتلاء ومرادفاته في القرآن الكريم:

المطلب الأول: لفظ الابتلاء في القرآن الكريم

الطلب الثاني: مرادفات الابتلاء في القرآن الكريم

المبحث الثالث: مقاصد الابتلاء وعلى من يقع:

المطلب الاول: مقاصد الابتلاء

المطلب الثاني: على من يقع الابتلاء

المبحث الأول : مفهوم الابتلاء لغةً واصطلاحاً

المطلب الأول : الابتلاء لغةً:

بالنظر إلى لفظ "الابتلاء" في اللغة نجده يدور حول معنيين هما: الاختبار والامتحان. قال صاحب مقاييس اللغة: "يبلو الإنسان وابتلي، أي تعرض للامتحان، وهو الاختبار، ويكون البلاء في الخير والشر، والله تعالى يبلي العبد بلاءً حسنا وبلاء سيئا"[1]. وقال الفراهيدي ما يؤكد المعنى السابق :"وبُلِيَ الإنسانُ وابْتُلي [إذا امْتُحِنَ]... والبَلاءُ، في الخَيْر والشَّرِّ، واللَّه يُبْلي العَبْدَ بلاءً حَسَناً وبَلاءً سَيِّئاً"[2]. وقال ابن منظور في لسان العرب: "بلا : بلوت الرجل بلوا وبلاء وابتليته اختبرته وبلاه يبلوه بلوا إذا جربه واختبره "[3]. وقال صاحب كتاب تاج العروس: "ابتليته: اختبرته وجربته، وابتليت الرجل فأبلاني، أي استخبرته فأخبرني. وابتليته: امْتَحَنْتُه واخْتَبَرْتُه"[4].

---

[1]أبو الحسن, أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ), **معجم مقاييس اللغة**, ج1/ص294, دار الفكر, 1399هـ - 1979م.

[2]الفراهيدي, أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 175هـ), **كتاب العين**, ج8/ص340, تحقيق : د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي, دار ومكتبة الهلال.

[3]ابن منظور, لسان العرب, محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ), **لسان العرب**, ج14/ ص83, دار صادر – بيروت, الطبعة الثالثة – 1414 هـ.

[4]مرتضى, محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ), **تاج العروس من جواهر القاموس**, ج37/ص206, دار الهداية.

المطلب الثاني: الابتلاء اصطلاحاً:

لم يذكر الفقهاء معًنى مخصّصاً للابتلاء من الناحية الفقهية، ولكن يتفق معنى الابتلاء اللغوي مع معناه الشّرعي:

الابتلاء: "في الأصل، التكليف بالأمر الشاق من البلاء لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة إلى من يجهل العواقب ظن ترادفهما، وقال بعضهم: الابتلاء يكون في الخير والشر معًا، يقال في الخير: أبليته، وفي الشر: بلوته بلاء"[1].

وقال صاحب كتاب البصائر:" وسُمّى الغمّ بلاءً؛ من حيث إنَّه يُبلِي الجسم، وسُمّى التكليف بلاءً؛ لأَنَّ التكاليف مَشَاقٌّ على الأَبدان، أَوْ لأَنَّها اختبارات، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ ﴾[2]، وقيل: اختبار الله تعالى لعباده تارة بالمسارّ ليشكروا، وتارة بالمضارّ ليصبروا، فصارت المِنحة والمحنة جميعاً بلاءً، فالمِحْنة مقتَضِية للصّبر، والمِنحة مقتضية للشكر، والقيامُ بحقوق الصّبر أَيسر من القيام بحقوق الشكر، فصارت المِنْحة أَعظم البلاءَين"[3]، قال صاحب كتاب فيض القدير:"البلاء موكل بالقول... البلاء الامتحان والاختبار ويكون حسنا ويكون سيئا والله يبلو عبده بالصنع الجميل ليمتحن شكره ويبلوه بما يكره ليمتحن صبره"[4].

يمكن ممّا سبق استخلاص معنًى جامعٍ للابتلاء، وهو: امتحان واختبار بالأمر الشاق الذي تستصعبه النفس وتكرهه، يجريه الله على عباده ليميزَ به الصّابر والقانط من رحمة الله،

---

[1]أبو البقاء, أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: 1094هـ), **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**, ج1/ص34, مؤسسة الرسالة – بيروت.

[2]سورة الرحمن: الآية 31.

[3]الفيروزآبادى, مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: 817هـ), **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**,ج2/ص274, المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة 1393 هـ – 1973 م.

[4]المناوي, زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ), **فيض القدير شرح الجامع الصغير**, ج3/ص222, المكتبة التجارية الكبرى – مصر الطبعة الأولى، 1356.

وبين الصادق بإيمانه ومدّعي الإيمان، والذي يهمنا في موضوع بحثنا هذا هو المعنى المتبادر من الابتلاء عند ذكر ما يتعرض له المؤمن في حياته من سَراء و ضَراء ، وهو الاختبار والتمحيص المقرون – غالباً – بالشدائد والمحن، والمصائب والفتن وبالترف والنعم ايضاً.

المبحث الثاني: لفظُ الابتلاء ومرادفاتُه في القرآنِ الكريم

المطلب الأول: لفظ الابتلاء في القرآن:

ورد لفظ الابتلاء في العديد من الآيات، في مختلف السُور: المدنية منها والمكية، منها ما يخبر عن الأفراد والجماعات، ومنها ما يخبر عن أنبيائه وعباده الصالحين وعن المنافقين والكافرين ، وفيما يأتي المواضع الّتي ورد فيها لفظ (الابتلاء) في القرآن الكريم:

فمن خلال استقراء الآيات التي ورد فيها لفظ الابتلاء وجدتُ أنّ لفظ (الابتلاء) ورد في القرآن الكريم في تسع وعشرين آية، وهي:

1-ابْتَلَى 2- ابْتَلاهُ 3- ابْتُلِيَ 4- الْبَلَاءُ 5- بَلَاءً 6- بَلَوْنَاهُمْ7- بَلَوْنَا 8- تَبْلُوا

9- تُبْلَى 10- لَتُبْلَوُنَّ 11- لَمُبْتَلِينَ 12- لَيَبْلُوَنَّكُمُ 13- لِنَبْلُوَهُمْ 14- لِيَبْتَلِيَكُمْ 15- لِيَبْلُوَكُمْ

16- لِيَبْلُوَنِي 17- لِيَبْلُوَا 18- مُبْتَلِيكُم 19 - نَبْلُوهُم 20- نَبْتَلِيهِ 21- وَابْتَلُوا

22- وَبَلَوْنَاهُم 23- وَلَنَبْلُوَنَّكُم 24- وَلِيَبْتَلِيَ 25- وَلِيُبْلِيَ 26- وَنَبْلُوَا 27- وَنَبْلُوكُم

28- يَبْلَى 29- يَبْلُوكُمُ.

وسأقوم هنا ببيان بعض الآيات التي ورد فيها لفظ الابتلاء وتوضيحها، دون عرضها جميعها، لأنه سيتم تناول معظم هذه الآيات من خلال عناوين هذه الرسالة:

أولاً: بلاء

ورد هذا اللفظ(بلاء) في مواضع عدّة من سورة البقرة وسورة الأعراف وسورة إبراهيم، قال تعالى في سورة البقرة:﴿وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ٤٩﴾[1]، وفي سورة الأعراف قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَإِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ١٤١﴾[2]، والمتدبر للآيتين يجد اختلافًا بسيطًا بينهما في كلمة "يذبحون" في سورة البقرة، و"يقتلون" في سورة الأعراف، وقد وردت باللفظ ذاته الذي جاء في سورة البقرة في سورة إبراهيم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ أَنجَىٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ﴾[3].

والحديث في الآيات جاء عن فرعون الذي كان يذبح الأولاد ويستحيي النساء، فسمى الله ما هم فيه بالبلاء العظيم، " قيل: البلاء المحنة، أي في سومهم إياكم سوء العذاب محنة عظيمة، وقيل: البلاء النعمة أي في إنجائي إياكم منهم نعمة عظيمة، فالبلاء يكون بمعنى النعمة وبمعنى

[1] سورة البقرة : الآية49.

[2] سورة الأعراف: الآية 141.

[3] سورة إبراهيم : الآية 6.

الشدة، فالله تعالى قد يختبر على النعمة بالشكر، وعلى الشدة بالصبر"[1]، وقال صاحب البحر المديد:"وفي ذلك القتل امتحان عظيم، أو في ذلك الإنجاء نعمة عظيمة وامتنان عظيم"[2].

وجاء في سورة البقرة آيات أخرى تحمل لفظ الابتلاء منها:

- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ﴾[3]، "اختبره بأوامر ونواهٍ"[4].
- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥﴾[5]، يخبر الله –ههنا–عباده المؤمنين أنه سيبتليهم بأنواعِ وألوانِ مختلفة من الابتلاءات، قال الطبري:" وهذا إخبار من الله تعالى ذكره أتباعَ رَسوله ﷺ ، أنه مبتليهم وممتحنهم بشدائد من الأمور، ليعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه، كما ابتلاهم فامتحنهم بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، وكما امتحن أصفياءَه قَبلهم"[6].
- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ﴾[7]، "ومعنى "ومعنى هذا الابتلاء أنه اختبار لهم"[1].

---

[1]البغوي, محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: 510هـ), **معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)**,ج1/ ص 91, دار طيبة للنشر والتوزيع, الطبعة الرابعة، 1417 هـ - 1997 م.

[2]ابن عجيبة , أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس, **البحر المديد**, ج2/ص535, دار الكتب العلمية . بيروت الطبعة الثانية / 2002 م . 1423 هـ.

[3]سورة البقرة: الآية 124.

[4]الزمخشري , أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي, **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** ,ج1 /ص 209, دار إحياء التراث العربي – بيروت, تحقيق عبد الرزاق المهدي.

[5]سورة البقرة: الآية 155.

[6]الطبري, محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ), **تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن**, ج3/ص219, دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان, الأولى، 1422 هـ - 2001م.

[7]سورة البقرة: الآية 249.

- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾[2]، يعني "لينصرهم نصراً جميلاً ويختبرهم بالتي هي أحسن"[3].
- و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْأَيَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾﴾[4]، "هنا يذكر بني اسرائيل في زمانهم، فتعرضوا للاختبار بهذه الآيات ، التي آتاهم الله إياها للابتلاء، حتى إذا تم امتحانهم، وانقضت فترة استخلافهم، أخذهم الله بانحرافهم والتوائهم، وبنتيجة اختبارهم وابتلائهم"[5].
- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾﴾[6]، "أي هذا التكليف الذي كلفناك هو الاختبار البيّن ، أي الظاهر دلالة على مرتبة عظيمة من امتثال أمر الله، واستعمل لفظ (البلاء) مجازًا في لازمه وهو الشهادة بمرتبة من لو اختُبر بمثل ذلك التكليف لعلمت مرتبته في الطاعة والصبر وقوة اليقين"[7].

إنّ لفظ (الابتلاء) في الآيات السابقة من سورة البقرة جاء يحمل المعنى ذاته وهو الاختبار، وهو معنًى واضحٌ موافقٌ لما ذكرت سابقًا في مفهوم الابتلاء.

---

[1]القرطبي, أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : 671هـ), **الجامع لأحكام القرآن**, ج3/ص251, دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة 1423 هـ/ 2003 م, المحقق: هشام سمير البخاري.

[2]سورة الانفال: الآية 17.

[3]السمرقندي, أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي, **بحر العلوم**, ج2/ص13, دار الفكر – بيروت, تحقيق: د.محمود مطرجي.

[4]سورة الدخان: الآية33.

[5]قطب, سيد, **ظلال القران**, ج6/ ص390, دار الشروق– القاهرة، عدد الجزاء:6.

[6]سورة الصافات: الآية 106.

[7]ابن عاشور, محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ), **التحرير والتنوير** "**تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**", ج23 /ص155, الدار التونسية للنشر – تونس 1984 هـ.

ثانياً: لِيَبْلُوَكُمْ

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾[1]، ومعنى { لِّيَبْلُوَكُمْ } "أي: ليختبركم ... فيختبركم وينظر كيف تعملون، ويبتلي كل أمة بحسب ما تقتضيه حكمته"[2].

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾[3]، يعني "ليبتليكم فيما أعطاكم، يقول: يبتلى بعض المؤمنين الموسر بالغنى، ويبتلى بعض المؤمنين المعسر بالفاقة"[4]، قال السعدي في تفسيره: "فيختبركم وينظر كيف تعملون، ويبتلي كل أمة بحسب ما تقتضيه حكمته"[5].

- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[6]، { لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا } أي: "خلق ذلك ليبتلي عباده بالاعتبار والاستدلال على كمال قدرته وعلى البعث"[7].
- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ﴾[1]، "واللام فى قوله: { لِّيَبْلُوَكُمْ } متعلقة بقوله :{ خَلَقَ } وقوله:{ لِّيَبْلُوَكُمْ } بمعنى يختبركم ويمتحنكم"[2].

---

[1] سورة المائدة: الآية 48.

[2] السمعاني, أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: 489هـ), **تفسير القرآن**, ج2/ص44, دار الوطن، الرياض – السعودية, الطبعة الأولى 1418هـ- 1997م.

[3] سورة الأنعام: الآية 165.

[4] ابن سليمان, أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي, **تفسير مقاتل بن سليمان**, ج1 /ص381. دار دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت الطبعة الأولى – 1424 هـ – 2003 م, تحقيق : أحمد فريد.

[5] السعدي , عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي, **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**, ص234, مؤسسة الرسالة, الطبعة الأولى 1420هـ –2000 م,المحقق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق.

[6] سورة هود: الآية 7. م

[7] القرطبي, **الجامع لأحكام القرآن**, ج9 /ص9.

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ ﴾[3]، "اللام في ليبلونكم لام القسم ومعناه لنختبرن طاعتكم من معصيتكم"[4].
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ﴿٣١﴾ ﴾[5]، {وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ } "ولنعاملنكم معاملة المختبر بأن نأمركم بالجهاد والقتال"[6].

ثالثاً:ابتلوا

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ﴾[7]، "أي اختبروهم"[8]، ويقول صاحب كتاب احكام القرآن الكريم كلاماً جميلاً تعليقاً على هذه الآية: "دل على أن الابتلاء قبل البلوغ في أمر الدين والدنيا، بأن يربيه على الخيرات والطاعات، ويندبه إلى المراشد وتأمل التصرفات والتجارات، حتى يكون نشوه على الخيرات، فإذا بلغ النكاح نفعه ما تقدم من التدريب، ويحصل به إيناس الرشد، وهو إحساس الرشد"[9].

---

[1]سورة الملك: الآية 2.

[2]الطنطاوي, محمد سيد طنطاوي, **التفسير الوسيط للقرآن**, ج8 /ص15, دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة الطبعة الأولى.

[3]سورة المائدة: الآية 94.

[4]ابن الجوزي, عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي, **زاد المسير في علم التفسير**, ج2 /ص421, المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة الثالثة ، 1404.

[5] سورة الرحمن: الآية 31.

[6]البغوي, **معالم التنزيل في تفسير القرآن**,ج7/ص 289.

[7] سورة النساء: الآية6.

[8] النحاس, أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (المتوفى: 338هـ) , **معاني القرآن**, ج2 /ص19, جامعة أم القرى – مكة المكرمة الطبعة الأولى، 1409, المحقق : محمد علي الصابوني .

[9] الهراسي, علي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبري، الملقب بعماد الدين، المعروف بالكيا الهراسي الشافعي (المتوفى: 504هـ), **أحكام القرآن**, ج2/ص328, دار الكتب العلمية، بيروت, الطبعة الثانية، 1405 هـ, تحقيق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية.

يستنتج ممّا سبق أنّ لفظ (الابتلاء) الوارد في الآيات السابقة جاء يحمل المعنى ذاته الذي بيناه للابتلاء على أنه اختبار من الله تعالى يختبر به عباده، فقد اجتمعت الآيات السابقة على مدلول واحد للابتلاء.

المطلب الثاني: مرادفات الابتلاء في القرآن الكريم

من خلال الاطلاع على كتب المعاجم المختلفة، وبعض كتب التفسير التي تناولت تفسير مرادفات الابتلاء وبيانها، استنتجتُ المرادفات الآتية للابتلاء، ومنها:

أولا: التمحيص

"(التَّمْحِيصُ) :"الِابْتِلَاءُ وَالِاخْتِبَارُ "[1]، والمَحْصُ: "خُلُوصُ الشَّيْءِ، ومَحَصَ الشيءَ يَمْحَصُه مَحْصاً مَحْصاً ومَحَّصَه: خَلَّصَه[2]، ومن الآيات التي وردت فيها كلمة التمحيص قوله تعالى:" وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ "[3].

قال البغوي في تفسيره:" أَيْ: يُطَهِّرَهُمْ مِنَ الذُّنُوبِ"[4]، وفي قوله تعالى:﴿ وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ ﴾[5]، أي: "الاختبار والتمحيص تخليص الشيء من غيره والمعنى ليختبره فيعلمه علما مساوقا لوجوده وقد كان متقرراً قبل وجود الابتلاء أزلاً"[6].

---

[1]الرازي, زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ) , **مختار الصحاح**, ج1/ص291, المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا, الطبعة الخامسة، 1420هـ / 1999م.

[2]ابن منظور, لسان العرب, ج/90.

[3] سورة آل عمران: الآية 112.

[4] البغوي, **معالم التنزيل في تفسير القرآن** ,ج2/ ص112.

[5] سورة آل عمران: الآية 154.

[6]ابن عطيه, أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي , **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** ,ج1 /ص560, دار الكتب العلمية – لبنان – الطبعة الأولى 1413هـ 1993م, تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد.

ثانياً: الضيق

"ضَاقَ (يَضيقُ) ضَيْقاً بالكَسْرِ ويُفْتَح، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾[1]، الضِّيقُ: "نَقِيضُ السَّعَةِ، ضاقَ الشيءُ يَضِيقُ ضِيقاً وضَيْقاً وتَضَيَّقَ وتَضايَقَ وضَيَّقَه هُوَ... "[2]، قال ابن عاشور في تفسيره قوله تعالى:" (ضيق) الْمُرَادُ ضِيقُ النَّفَسِ، وَهُوَ مُسْتَعَارٌ لِلْجَزَعِ وَالْكَدَرِ، كَمَا اسْتُعِيرَ ضِدُّهُ وَهُوَ السَّعَةُ وَالِاتِّسَاعُ لِلِاحْتِمَالِ وَالصَّبْرِ"[3].

وقد ورد لفظ (الضيق) في عدد من الآيات، منه قوله تعالى: ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[4]، و قَالَ تَعَالَى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾[5]، قال صاحب المفردات: "ضيق : الضيق ضد السعة ، ويقال الضيق الضيق أيضاً: والضيقة يستعمل في الفقر والبخل والغم ونحو ذلك، قال تعالى: { وضاق بهم ذرعا } أي عجز عنهم، وقال تعالى: { وضائق به صدرك } – { ويضيق صدري } – { ضيقا حرجا } – {وضاقت عليكم الأرض بما رحبت } – { وضاقت عليهم أنفسهم } – { ولا تك في ضيق مما يمكرون } كل ذلك عبارة عن الحزن، وقوله : { ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن } ينطوي على تضييق النفقة وتضييق الصدر، ويقال في الفقر ضاق وأضاق فهو مضيق واستعمال ذلك فيه كاستعمال الوسع في ضده"[6].

---

[1] سورة النحل الآية :الآية 127.

[2] ابن منظور, **لسان العرب**, ج10/ص208.

[3] ابن عاشور, **التحرير والتنوير**, ج14/ص337.

[4] سورة الشعراء. الآية 13.

[5] سورة التوبة: الآية 118.

[6] الراغب الأصفهانى, أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: 502هـ), **المفردات في غريب غريب القرآن**, ص300, دار المعرفة –لبنان, تحقيق: محمد سيد كيلاني.

ثالثاً: المحنه

المحنه: "(الْمِحْنَةُ) وَاحِدَةُ (الْمِحَنِ) الَّتِي يُمْتَحَنُ بِهَا الْإِنْسَانُ مِنْ بَلِيَّةٍ وَ (مَحَنَهُ) مِنْ بَابِ قَطَعَ، وَ(امْتَحَنَهُ) اخْتَبَرَهُ وَالِاسْمُ (الْمِحْنَةُ)"[1].

"مَحَنَهُ، كمَنَعَهُ: ضَرَبَهُ، واخْتَبَرَهُ، كامْتَحَنَه"[2]، "والجَمْعُ المِحَنُ، وَهِي الَّتِي يُمْتَحَنُ بهَا الإِنْسانُ مِن بليةٍ، نَسْتَجِيرُ بكَرَمِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْهَا[3]"، وقد ورد هذا اللفظ في قوله تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ ﴾،[4] "اخْتَبَرَهَا وَأَخْلَصَهَا كَمَا يُمْتَحَنُ الذَّهَبُ بِالنَّارِ فَيَخْرُجُ خَالِصُهُ"[5].

رابعاً: الفتنه

"فَتن: الفتنة: الابتلاء والامتحان، (يقال) : فتنت الذهب بالنار: امتحنته (بها)"[6]، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ١٠ ﴾ [7]، "ويسمَّى الصائغُ الفتَّان، وكذلك الشيطان [فتن] الفِتْنَةُ: الامتحان والاختبار. تقول: فَتَنْتُ الذهبَ، إذا أدخلتَه النار لتنظر ما جودته"[8]، "مِنْ ذَلِكَ الْفِتْنَةُ، يُقَالُ: فَتَنْتُ أَفْتِنُ

---

[1] الرازي, **مختار الصحاح**, ج 1/ص291.

[2] الفيروزآبادى, مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (المتوفى: 817هـ),**القاموس المحيط**, ج1/ص1233, مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة الثامنة، 1426 هـ - 2005 م.

[3] الزَّبيدي, **تاج العروس** , ج36/ص153.

[4] سورة الحجرات: الآية 3.

[5] البغوي, **معالم التنزيل في تفسير القرآن**, 255/4.

[6] ابن فارس, **مجمل اللغة** , ج1/ص711.

[7] سورة البروج: الآية10.

[8] الفارابي, أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ), **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**, ج2175/6ص.

فَتْناً[1]. وَ (افْتُتِنَ) الرَّجُلُ وَ (فُتِنَ) فَهُوَ (مَفْتُونٌ) إِذَا أَصَابَتْهُ (فِتْنَةٌ) فَذَهَبَ مَالُهُ أَوْ عَقْلُهُ، وَكَذَا إِذَا اخْتُبِرَ"[2].

يَقُولُ الطبري في تفسيره لقوله تعالى:"(إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ)[3]، إِنَّ الَّذِينَ ابْتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِاللَّهِ بِتَعْذِيبِهِمْ، وَإِحْرَاقِهِمْ بِالنَّارِ وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ"[4]، ومن الآيات التي ورد فيها لفظ (الفتنة) :

- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَۚ ﴿١١﴾﴾[5]،(فتنة) أي : "محنة وبلية"[6].
- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَۗ ﴿٢٠﴾ ﴾[7]، أي: "فتنة أي بلاء، و الفتنة في اللغة الاختبار"[8].
- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[9]، فتنة أي:" بلوى يبتلى بها العبد ليشكر أو يكفر"[10].

---

[1] أبو الحسين, **معجم مقاييس اللغة**, ج4/ص472.

[2] الرازي, **مختار الصحاح**, ج1/ص234.

[3] سورة البروج: الآية 10.

[4] الطبري, **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**, ج24/ص280.

[5] سورة الحج: الآية 11.

[6] السمعاني , **تفسير القران**, ج3 /ص 424.

[7] سورة الفرقان: الآية 20.

[8] النحاس, **معاني القرآن**, ج5 /ص15.

[9] سورة الزمر: الآية49.

[10] ابن الجوزي, **زاد المسير**, ج7 /ص188.

خامساً: المصيبة

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾[1]، "مَا أَصَابَكَ من الدَّهْر {كالمُصَابَةِ} والمَصُوبَة، بضَمِّ الصَّاد، والتَّاء، للتَّأنِيث أَو للمُبَالَغَة، والجَمْعُ {مَصَاوِبُ} ومَصَائِبُ"[2]، وقال القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: "(مُصِيبَةٌ) الْمُصِيبَةِ: كُلُّ مَا يُؤْذِي يُؤْذِي الْمُؤْمِنَ وَيُصِيبُهُ، يُقَالُ: أَصَابَهُ إِصَابَةً وَمُصَابَةً وَمُصَابًا، وَالْمُصِيبَةُ وَاحِدَةُ الْمَصَائِبِ، وَالْمَصُوبَةُ (بِضَمِ الصَّادِ) مِثْلُ الْمُصِيبَةِ... وَالْمُصِيبَةُ: النَّكْبَةُ يُنْكَبُهَا الْإِنْسَانُ وَإِنْ صَغُرَتْ"[3].

ومن الآيات الوارد فيها لفظ (المصيبة)، قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [4]، أي : "فَكَيْفَ حالُ تِلْك الشِّدَّةِ وحَالُ تِلْك المُصِيبَةِ "[5]، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾،[6] (مِن مُّصِيبَةٍ): "أيّ مصيبة كانت دينية أو دنيوية من كفر أو غيره "[7]، و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[8]، أي :"الصبر على درجات فصابر ما مسه من البلاء عين التدبير مخرجه ومن حقيقة الحكمة في الأزل كونه، فلم يراجع لعلمه بما في القضاء

---

[1] سورة البقرة : الاية 156.

[2] الزَّبيدي, **تاج العروس** , ج6/ص155.

[3] القرطبي, **الجامع لأحكام القرآن**, ج2/ص175.

[4] سورة النساء: الآية 62.

[5] أبو حفص, **اللباب في علوم الكتاب**, ج6 /ص 458.

[6] سورة التغابن: الآية11.

[7] البقاعي , برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي, **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**, ج8 /ص15, دار الكتب العلمية – بيروت – 1415هـ – 1995 م, تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي.

[8] سورة الحديد: الآية22.

لا محالة قبل أن ينسى أباه آدم عليه السلام إذ هو جزء من ذريته التي برأهم على مشيئته وأجرى عليهم ما شاء من نفاذ قدرته على ما سبق لهم منهم"[1]

مقاصد الابتلاء وعلى من يقع؟

المطلب الاول: مقصد الابتلاء

الابتلاء أمر حاصلٌ لا محاله، فالإنسان موجود على هذه الدنيا لا للتلذّذ والتنعم فحسب، بل هي دنيا كدر ومشقّة، لا يسلم من الابتلاء أحد فيها، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ 1﴾[2]، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ﴾[3]، فلا يبرح حتّى يبتلى بشيء مما أنعم الله عليه به، إما بالحرمان أو بالاعطاء وفي كلّ هو مُبتلى إن أعطِي وإن مُنع عنه، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ﴿٣١﴾ ﴾[4]، فالدنيا دار تكليف وقد اقتضت سنة الله في كونه وقوع الابتلاء على العباد صالحهم من فاسدهم، هذه السنة التي لا تتغير ولا تتبدل، يُبتلى الإنسان في الدنيا تارة بالخير وتارة بالشر، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ ﴿١٦٥﴾ ﴾[5]، إن للابتلاء مقاصداً جليلةً عظيمةً وغاياتٍ مهمةً، فاز واطمئن بها بها من صدق بإيمانه مع الله ويركن اليها ويسلم، وتكشف معايب من ادعى الإيمان ولم يؤمن قلبه، ومن تلكم المقاصد:

---

[1] السلمي, أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي, **تفسير السلمي وهو حقائق التفسير**, ج2 /ص 311, دار الكتب العلمية لبنان/ بيروت 1421هـ – 2001م, تحقيق: سيد عمران.

[2] سورة البلد: الآية4.

[3] سورة الانسان: الآية2.

[4] سورة محمد: الآية31.

[5] سورة الانعام: الآية165.

اولاً: تحقيق العبودية لله تعالى

ينبغي للعبد أن يكون على يقين تامّ، ومعرفةٍ مطلقةٍ أنه لله وأنه اليه راجع، وأنّ الله يختبره في هذه الدنيا ليزداد تقرباً منه، ولجوءا إليه ويتحقق عند العبد أن هذا الابتلاء إن لم يكشفه الله عنه، فما له من كاشف غيره، فحياته ومقاليدها بيد الله وحده، قَالَتَعَالَى:﴿ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ ٣٥ ﴾[1].

فيكون الابتلاء بالخير والشر ليظهر حقيقة الايمان بالله وبالقدر خيره وشره، فمن الناس مَن يعبد الله على حرف يعرفه في الرخاء والنعم، وإذا ما ابتلي سخطَ وقنطَ واعترض، يقول الله تعالى :﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١١ ﴾[2].

وهنا تكمن حقيقة الايمان وحقيقة التوحيد، حقيقة الإيمان بالله رباً والثبات على ذلك، يقول القرطبي: "أن شيبة بن ربيعة[3] قال للنبي ﷺ قبل أن يظهر أمره : ادع لي ربك أن يرزقني مالا وإبلا وخيلا وولدا حتى أومن بك وأعدل إلى دينك ؛ فدعا له فرزقه الله عز وجل ما تمنى ؛ ثم أراد الله عز وجل فتنته واختباره وهو أعلم به فأخذ منه ما كان رزقه بعد أن أسلم فارتد عن الإسلام فأنزل الله تبارك وتعالى فيه : {وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ} يريد شرط)،[4] قال

---

[1] سورة الأنبياء:الآية35.

[2] سورة الحج: الآية11.

[3] شيبة بن ربيعة الجاهلى الكافر: قتله على، رضى الله عنه، فى المبارزة يوم بدر كافرًا، وهو شيبة بن ربيعة بن عبد شمس ابن عبد مناف من رؤساء قريش وصناديدهم.(النووي, أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي (المتوفى سنة 676 هـ), **تهذيب الأسماء واللغات**, ص347, تحقيق مصطفى عبد القادر عطا).

[4] القرطبي, **الجامع لأحكام القرآن**, ج12/ص18.

الفضيل بن عياض[1]: " الناس ما داموا في عافية مستورون ، فإذا نزل بهم بلاء صاروا إلى حقائقهم؛ فصار المؤمن إلى إيمانه ، وصار المنافق إلى نفاقه"[2].

فالعبد الموحد لله العابد لربه حقاً لا يغيره ولا تقلبهُ فتنة ولا ابتلاء، ويثبت على دينه، لا يتزعزع عنه البتة، بل العكس تماماً، يزداد يقينا مع يقينه وعبوديةَ وتضرعاً لله ربه لرفع ما حل به من مصاب، ويكون هذا الاختبار في دينه سبباً للتقرب من الله أكثر، وطلب الغوث والعون منه وحده، على عكس المنافق الذي يقف على حرف في عبادته لربه، فهنا الخسران المبين.

ثانيا: الابتلاء كفارة للذنوب

يقع الابتلاء على المؤمن حتى يزيل غبار الذنوب عنه ويطهره وينقيه، ليلقى الله مطهراً من الذنوب، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠ ﴾[3]

اي: "مهما أصابكم أيها الناس من المصائب، فإنما هو عن سيئات تقدمت لكم، ويعفو عن كثير: من السيئات ، فلا يجازيكم عليها بل يعفو عنها"[4] ، فما يصاب به المؤمن من ابتلاء ما هو الا لخير ويكفر الله بهذا الابتلاء الذنوب، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله

---

[1] ابن مسعود بن بشر، الامام القدوة الثبت، شيخ الاسلام, أبو علي, ولد بسمرقند، ونشأ بأبيورد، وارتحل في طلب العلم, وروى إبراهيم بن شماس، عن ابن المبارك، قال: ما بقي على ظهر الارض عندي أفضل من الفضيل بن عياض.
قال نصر بن المغيرة البخاري: سمعت إبراهيم بن شماس يقول: رأيت أفقه الناس، وأورع الناس، وأحفظ الناس وكيعا والفضيل وابن المبارك. (انظر: الذهبي, شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ),**سير أعلام النبلاء**,ج8/ص4210-422-424, مؤسسة الرسالة, الطبعة الثالثة، 1405 هـ / 1985 م, تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط).

[2] الجاحظ, عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: 255هـ),**البيان والتبيين**, ج3/ص93, دار ومكتبة الهلال- بيروت 1423 هـ.

[3] سورة الشورى: الآية 30.

[4] ابن كثير, **تفسير القرآن العظيم**, ج7/ص207.

عليه وسلم : "مَا يَزَال الْبَلاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمؤمِنَةِ في نَفْسِهِ وَولَدِهِ ومَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّه تَعَالَى وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ "[1].

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :" مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ شَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا إلا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً ، أَوْ حَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً"،[2] وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللهﷺ:" مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ"[3].

وهذا الابتلاء إنما كان لصلابة دينهم وصمودهم على الحق، فلا يخشون أحدًا إلا الله، فعَنْ مصعب بن سعد[4] عن أبيه قال قلت يا رسول الله : "أي الناس أشد بلاء ؟ قال الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل فيبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان دينه صلبا اشتد بلاؤه وإن كان في دينه رقة ابتلى على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض ما عليه خطيئة"[5].

---

[1] اخرجه الترمذي, **سنن الترمذي**, أبواب الزهد, باب ما جاء في الصبر على البلاء, حديث رقم :2399(180/4), قال الشيخ الألباني : حسن صحيح.(الترمذي, محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي, **الجامع الصحيح سنن الترمذي**, الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت, تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرين)

[2]اخرجه مسلم, **صحيح مسلم**, كتاب البر والصلة والآداب, باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، أو حزن، أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها, حديث رقم :2572(1991/4).(مسلم, أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري, **الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم**, الناشر : دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة . بيروت).

[3]اخرجه البخاري, **صحيح البخاري**, كتاب المرضى, باب ما جاء في كفارة المرض, حديث رقم:5645(115/7).(البخاري, محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي, **الجامع الصحيح المختصر**, الناشر : دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت, الطبعة الثالثة ، 1407 – 1987, تحقيق : د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة – جامعة دمشق).

[4] مصعب بن سعد بن أبى وقاص الزهرى القرشي كنيته أبو زرارة يروى عن على بن أبى طالب وطلحة وابن عمر روى عنه أبو إسحاق السبيعي وعاصم بن بهدلة مات سنة ثلاث ومائة.(ابن حبان, محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي, **الثقات**, ج4/ص411, دار الفكر, الطبعة الأولى ، 1395 – 1975, تحقيق : السيد شرف الدين أحمد)

[5] اخرجه الترمذي, **سنن الترمذي**, أبواب الزهد, باب ما جاء في الصبر على البلاء, حديث رقم : 2398 (601/4), قال الشيخ الألباني : حسن صحيح.

وخلاصة القول: إنّ مَن يصاب بابتلاء عليه ان يعلم ان الأمر ليس بعقوبة على المؤمن، بل هو كرمٌ وتفضل من الله حتى لا يلقاه محملاً بالذنوب، فتاتي هذه الابتلاءات لتنقيته وإزالة خطاياه وشوائبه.

ثالثاً: الابتلاء اختبار للصبر

ومن مقاصد الابتلاء معرفة الصابرين، الراضين بما كتب لهم، والقانطين المتذمرين، فيخبر الله في كتابه العزيز انه لم يترك الناس من غير بلاء، بل هي سنة الله مع السابقين واللاحقين، وأن من المقاصد البليغة للابتلاء اختبار صبر الصابرين، قَالَتَعَالَىٰ:﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ [1].

يقول الواحدي: "﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ ﴾ الآية نزلت في الذين جزعوا من أصحاب النبي ﷺ من أذى المشركين معناه أحسبوا أن يُقنع منهم بأن يقولوا: إنَّا مؤمنون فحسب ولا يُمتحنون بما يُبيِّن حقيقة إيمانهم، ﴿ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ ولقد اختبرنا وابتلينا ﴿فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ﴾ صِدقَ ﴿ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ﴾ في قولهم: آمنَّا بوقوعه منهم وهو الصَّبر على البلاء ﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ﴾ كذب ﴿ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ في قولهم: آمنَّا بارتدادهم إلى الكفر عن الدِّين عند البلاء ومعنى العلم ههنا العلم به موجوداً كائناً"[2].

---

[1] سورة العنكبوت: الآيتين2-3.

[2] الواحدي, أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ), **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**, ج1/ص828, دار القلم , الدار الشامية – دمشق، بيروت, الطبعة الأولى، 1415 هـ.

قال رسول الله ﷺ:" عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَه"[1]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾[2]، "ولما علم أنه لا بد أن يبتلى إذا أمر ونهى، وأن في الأمر والنهي مشقة على النفوس، أمره بالصبر على ذلك فقال: ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ ﴾ الذي وعظ به لقمان ابنه، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ ﴾ أي: من الأمور التي يعزم عليها، ويهتم بها، ولا يوفق لها إلا أهل العزائم"[3].

وما يكتب الله على العبد ما هو إلا لخير له، فعليه ان يصبر ويحتسب هذا البلاء ابتغاءً للأجر، قال ابن مسعود: "لأن أعضّ على جمرة أو أن أقبض عليها حتى تبرد في يدى أحب إلى من أن أقول لشيءٍ قضاه الله: ليته لم يكن"[4]، فقد مدح الله الصابرين وأعطاهم البشرى على صبرهم وأخلفهم خير الثواب والجزاء، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[5].

رابعاً: الابتلاء تمحيص وتمييز

من خلال التمحيص يتميّز العبد المؤمن الصادق الإيمان، عن العبد المنافق الكاذب في إيمانه، والابتلاء أشبه ما يكون بالغربال الذي يُسقط ما به من شوائب لا تنفع، ويبقى ما ينفع، فيتميز العبد المؤمن بالبلاء عن المنافق، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ

---

[1] اخرجه مسلم, **صحيح مسلم**, كتاب الزهد والرقائق, باب المؤمن أمره كله خير, حديث رقم2999, (227/8).

[2] سورة لقمان: الآية 17.

[3] السعدي, **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**, ص 648.

[4] ابن قيم الجوزية, محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية, **طريق الهجرتين وباب السعادتين**, ج1/ ص81, دار السلفية، القاهرة – مصر الطبعة الثانية، 1394هـ.

[5] سورة البقرة: الآية 55.

ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[1]، قال ابن عطية: "أخبر تعالى: أن إدالته الكفار على المؤمنين إنما هي لِيُمَحِّصَ المؤمنين، وأن إدالة المؤمنين على الكفار إنما هي لمحق الكفار، هذا مقتضى ألفاظ الآية"[2]. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ﴾ [3]، { حَتَّىٰ يَمِيزَ } بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيد يَفْصِل { ٱلۡخَبِيثَ } الْمُنَافِق {مِنَ ٱلطَّيِّبِ} الْمُؤْمِن بِالتَّكَالِيفِ الشَّاقَّة الْمُبَيِّنَة لِذَلِكَ، فَفَعَلَ ذَلِكَ يَوْم أُحُد"[4].

قال ابن القيم :" فلولا أنه سبحانه يداوي عباده بأدوية المحن والابتلاء لطغوا وبغوا وعتوا، والله سبحانه إذا أراد بعبد خيراً سقاه دواء من الابتلاء والامتحان على قدر حاله، يستفرغ به من الأدواء المهلكة ، حتى إذا هذبه ونقاه وصفاه : أهَّله لأشرف مراتب الدنيا ، وهي عبوديته ، وأرفع ثواب الآخرة وهو رؤيته وقربه "[5].

خامساً: الابتلاء علامة على حب الله للمبتلى

من علامة حب الله لعباده أنه ابتلاهم ليقربهم إليه، وينقي قلوبهم، ويقوي ايمانهم، ويزيدهم ثباتاً وإيماناً، ورفعةً لدرجاتهم ولمكانتهم، فقد أخبر رسولنا الكريم بذلك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:" إنَّ عِظَمَ الجزاءِ مع عِظَمِ البلاءِ ، وإنَّ اللهَ تعالَى إذا أحبَّ قومًا ابتلاهم ، فمن رضِي فله الرِّضا ومن سخِط فله السُّخطُ "[6]، واخبر الله بحبه للصابرين على ما أصابهم فقال سبحانه:

---

[1] سورة آل عمران: الآية141.

[2] ابن عطية, **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**, ج1/ص514.

[3] سورة آل عمران: الآية179

[4] المحلي والسيوطي, جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: 864هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: 911هـ), **تفسير الجلالين**, ج1/ص92, دار الحديث – القاهرة, الطبعة الأولى.

[5] ابن القيم, محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ), **زاد المعاد في هدي خير العباد**, ج4/ص179, مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت, الطبعة السابعة والعشرون , 1415هـ /1994م.

[6] اخرجه الترمذي, **سنن الترمذي**, أبواب الزهد, باب ما جاء في الصبر على البلاء, حديث رقم2396 (179/4).

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾[1].

سادساً: البلاء عقوبة للكافرين على كفرهم

من مقاصد الابتلاء أنه نعمة للمؤمن وخيرٌ له، كما أنه وبال وعاقبة للكافر، وعقوبة عليه في الدنيا قبل الآخرة، فلا يكون البلاء في حقه رفعاً للدرجات أو مغفرةً للزلات او امتحاناً واختباراً له، لأنه غير مؤمن أصلاً، وإنما البلاء على المجرمين الكافرين عاقبة لهم، ولأخذ العبرة والعظة من حالهم وسوء خاتمتهم، **قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَـٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَـٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾[2]، أي "عاقبناهم بكفرهم... صدق اللّه العظيم لا يعاقب بمثل فعله إلا الكفور"[3]،

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[4]، "(لَمَّا ظَلَمُوا۟) أي كفروا وأشركوا" [5].

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾[6]، يبتلي الله الكافرين الكافرين عقاباً لهم على كفرهم، ومخالفة أوامر الله وإتيان نواهيه، فيكون البلاء عليهم في الدنيا والآخرة بما صنعته أيديهم، ويختلف موقف المؤمن عن موقف الكافر من الابتلاء، فالكافر يقابل الابتلاء بالسخط والنكران والتذمر، يقود بنفسه إلى التعاسة والهلاك، وقد بينَ الله في كتابه وصفاً

---

[1] سورة آل عمرآن: الآية 146.

[2] سورة سبأ: الآية17

[3] ابن كثير, أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ), **تفسير القرآن العظيم**, ج6/ص508, دار طيبة للنشر والتوزيع, الطبعة الثانية 1420هـ - 1999 م.

[4] سورة يونس: الآية13.

[5] القرطبي, **الجامع لأحكام القرآن**, ج8/ص317.

[6] سورة الأعراف: الآية 163.

لحال الكافر من الابتلاء، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ١٦ ﴾[1].

سابعاً: حسن الخاتمة وحسن الجزاء

الابتلاء يقع لصالح العبد المؤمن الصابر، فيكون له حسن الثواب على ما صبر، وما احتمل لما أصابه من الضر والحرمان، فهنيئا له الأجر العظيم والصلوات والرحمات، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧ ﴾[2]، "أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ يَبْتَلِي عِبَادَهُ [الْمُؤْمِنِينَ] أَيْ: يَخْتَبِرُهُمْ وَيَمْتَحِنُهُمْ"[3]، وعلى هذا الاختبار جزاء كبير، ووصفهم الله بوصف الهداية فهنيئا لمن صبر فكانت له الجنات داراً، وقال عز من قائل ﴿ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[4]، وَقوله: وَقَوله: "{ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم} يَعْنِي: صَبَرُوا عَن الدُّنْيَا، وَقَوله: { أَجۡرَهُم } أَي: ثوابهم وجزاءهم، وَقَوله: {بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ } أَي: بِأَحْسَن الَّذِي كَانُوا يعْمَلُونَ"[5]، فهذه

---

[1] سورة الفجر: الآية 15-16.

[2] سورة البقرة : الآيات155-157.

[3] ابن كثير, **تفسير القرآن العظيم**, ج1/ص467.

[4] سورة النحل : الآية:9.

[5] السمعاني, **تفسير القرآن**, ج3/ص199.

مكافأة الصبر على الابتلاء، فسبحانه الحكيم المجازي الصابرين الصادقين بحسن الجزاء بالثواب في الدنيا وحسن المآب في الآخرة.

ومن خلال ما عرضت من بعض المقاصد للابتلاء؛ فإن على المؤمن المبتلى ان يعلم أن ابتلاءه اختبار من الله، فيستبشر ويرضى بقدره ويصبر على قضائه، وأن يسلم لأحكام الله، اختاره الله لأنه يحبه ويريد أن يطهره ويرفع درجاته، فيزيد إيمانه وتوكله على الله، وأن الله يبتلينا لنهذب لا لنعذب، وأما ما يصاب به الكافر من بلاء بحكمة الله، إنما هو تعجيل للعقوبة في الدنيا قبل الآخرة ليطمئن قلب المؤمن لعدل الله وحكمته مع خلقه، فلا ينفع إيمان بالقلب فحسب، بل يأتي الابتلاء ليدل على تصديق المؤمن وبيان لحسن عمله.

المطلب الثاني: على من يقع الابتلاء؟

إنّ الابتلاء أمرُ حتمي، ولا بد للعبد أن يبتلى شديداً كان ابتلاؤه أو خفيفاً، فالابتلاء شامل لكلّ العباد، الأنبياء والمؤمنين والكافرين والعاصين والمنافقين، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٤٨ ﴾[1]، فلو شاء الله لجعلنا أمةً واحدةً ولكن الله بينَ الشرائع ليختبر العاصي من المطيع.

فأما الأنبياء، فيقع الابتلاء عليهم اختباراً، ويأتي نصرا لهم ورفعة على صبرهم ، فذكر الله صبر داوود عليه السلام قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ١٧ ﴾[2]، وابتلي أيوب عليه السلام وامتحن بالمرض، ففي حال النعمة شكر وحمد، وفي حال النقمة صبر وفوض

[1] سورة المائدة : الآية 48.

[2] سورة ص : الآية 17.

أمره للّه، فصبر أيوب عليه السلام على مرضه مدة طويلة من الزمان فذكر الله أيوب عليه السلام فقال في كتابه العزيز :﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ٤١ ﴾[1]، ابتلي لوط عليه السلام بقوم فاجرين كاذبين بعثه لله اليهم ليتولى هدايتهم وإرشادهم، فتعرض لابتلاء عدم استجابة قومه له، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٦٠ ﴾[2]، وابتلى لوط عليه السلام بزوجه غير صالحةٍ كما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍۖ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٥٩ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٦٠ ﴾[3]، ووقع الابتلاء على يونس عليه السلام قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ١٤٢ فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤٤ فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٞ ١٤٥ ﴾[4]، لقد بلع الحوت يونس عليه السلام ونجّاه الله بتسبيحه وتعظيم شأنه، ولولا كرامة التسبيح له لاستمر البلاء، ولكن الله أكرمه بإخراجه من هذا البلاء المبين.

ويقع الابتلاء على عباد الله المؤمنين للتمحيص والتمكين وتكفير الذنوب، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ﴾[5]، و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ١١ ﴾[6]، و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ٣١ ﴾[7] فالابتلاء واقع على المؤمنين ليزدادوا ايماناً مع ايمانهم.

---

[1] سورة ص :الآية 41.

[2] سورة الشعراء : الآية 160.

[3] سورة الحجر : الآيتين 59 –60.

[4] سورة الصافات : الآيات 141– 145.

[5] سورة المائدة : الآية 94.

[6] سورة الأحزاب : الآيات 9–11.

[7] سورة محمد : الآية 31.

وهو واقع على الكافرين وما يزيدهم إلا نفوراً وإعراضاً وستكباراً، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ كَذَٰلِكَ نَبۡلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ١٦٣ ﴾[1]، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ هُنَالِكَ تَبۡلُواْ كُلُّ نَفۡسٖ مَّآ أَسۡلَفَتۡۚ﴾[2]، فالابتلاء عليهم واقع نتيجة كفرهم وعصيانهم، فيقف الكافر موقف القانط الساخط على قدر الله ، فيظل الكافر على انكاره، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ وَلَئِن قُلۡتَ إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٧ ﴾ [3]، حتى يأتي يومٌ تبلى فيه السرائر وهو من الاختبار لهم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ٩ ﴾[4]،" اي يتعرف ويتصفح ما أسر في القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما اخفى من الأعمال ويميز بين ما طاب منها وما خبث"[5].

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَطَّعۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُمَمٗاۖ مِّنۡهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنۡهُمۡ دُونَ ذَٰلِكَۖ وَبَلَوۡنَٰهُم بِٱلۡحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ١٦٨ ﴾[6]، ويقع الابتلاء لكشف المنافق وبيان كذبه فالابتلاء وسيلة لفضح المنافقين، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ

---

[1] سورة الأعراف : الآية 163.

[2] سورة يونس : الآية30.

[3] سورة هود : الآية 7.

[4] سورة الطارق : الآية 9.

[5] أبو السعود, محمد بن محمد العمادي أبو السعود, **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**, ج9/ص141, دار إحياء التراث العربي – بيروت.

[6] سورة الأعراف : الآية 168.

ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣ ﴾[1]، فالابتلاء الذي يقع على الكافرين والمنافقين عقاب وهلاك لهم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝١٤١ ﴾[2].

يُلحظ ممّا سبق أنّ الابتلاء شامل لكل العباد، ويقع على الأنبياء ليرفعهم ويعزهم بعد هذا الابتلاء، ويقع على المؤمنين تطهيراً لهم وليزدادوا قرباً من خالقهم ، ويقع على الكافرين والمنافقين عقاباً لهم على كفرهم، فإن كان الابتلاء لا محالة واقع، فلا بد ان يُقابل بالصّبر والرضا بما كتب الله حتى نكون من الناجين الراضين الفائزين.

[1] سورة العنكبوت : الآية 3.

[2] سورة آل عمران : الآية 141.

الفصل الثاني

أنواع الابتلاء في القرآن الكريم، والفرق بين ابتلاءات أمة محمد ﷺ وابتلاءات بني إسرائيل

المبحث الأول: ابتلاءات أولي العزم من الرسل عليهم السلام في القرآن الكريم، وفيه اربعة مطالب، وهي:

المطلب الأول: ابتلاء نوح (عليه السلام) مع قومه ومع ابنه ومع زوجه.

المطلب الثاني: ابتلاء إبراهيم (عليه السلام) مع المَلكِ وقومه، وأبيه، وابنه إسماعيل وذبحه.

المطلب الثالث: ابتلاء موسى(عليه السلام) والمحن التي مر بها.

المطلب الرابع: ابتلاء عيسى(عليه السلام) مع بني إسرائيل، وادعاء قتله.

المقصود بأولي العزم من الرّسل:

ذكرهم الله في كتابه الكريم، فقال تَعَالَىٰ:﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [1].

معنى(أُولُي العزم):

هم نوح عليه السلام وإبراهيم عليه السلام وموسىعليه السلام ومحمد ﷺ، وقال الزمخشري "هم : أولو الجد والثبات والصبر، والعزم بمعنى الصبر يقولون مالى عنك عزم أي صبر"[2].

"قيل: ذوو الحزم، وقيل: ذوو الجد والصبر"[3]، أى : "أصحاب الجد والثبات والصبر على الشدائد والبلاء ... وهم – على أشهر الأقوال – : نوح عليه السلام، وإبراهيمعليه السلام، وموسىعليه السلام، وعيسىعليه السلام، ومحمد ﷺ "[4]، وقد اجتمع ذكرهم في قوله تعالى:﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴾[5]، فقد جاء في هذه الآية ذكر أولي العزم من الرسل مجتمعين في قوله:﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴾،[6] فقد تكرر ذكر أولي العزم مجتمعين في هذه الآية أيضاً تشريفاً وتعظيماً لهم .

جاءت الآية تواسي الرسول ﷺ وتشد من عزمه وليثبت به فؤاده ويصبر على ما يلاقيه في سبيل الله، فالرسل السابقون عليهم السلام لقوا من الابتلاء والمصاعب ما لاقوه في سبيل رفع

---

[1] سورةالأحقاف: الآية 35.

[2] مرتضى الزَّبيدي, **تاج العروس**, ص 7817.

[3] انظر: البغوي, **معالم التنزيل في تفسير القرآن**, ج7/ص271.

[4] الطنطاوي, **الوسيط**, ص 3877.

[5] سورة الأحزاب: الآية7.

[6] سورة الشورى: الآية 13.

كلمة الله ودعوة الناس إلى توحيده، وقد اختُبروا في أهلهم وأولادهم وأقوامهم فصبروا على ما ابتلوا به.

إن الابتلاء أول طريق الاصطفاء، جاء في كتاب "الفوائد": "سأل رجل الشافعي فقال : يا أبا عبد الله ، أيما أفضل للرجل أن يُمكن أو يُبتلى ؟ فقال الشافعي : لا يمكن حتى يُبتلى ، فإن الله ابتلى نوحًا عليه السلام، وإبراهيم عليه السلام، وموسى عليه السلام، وعيسى عليه السلام ومحمدًا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، فلما صبروا مكنهم ، فلا يظن أحد أن يخلص من الألم البتة "[1].

والأنبياء أشد الناس بلاءً، فكان لابد من ذكرهم ليكون لنا بهم قدوةٌ في كل محنةٍ وشدةٍ، وحتى يتأسى بهم من بعدهم، فهم خير قدوة في الصبر والتحمل والطاعة، قال رسول الله ﷺ لما سأله رجل: من أشد الناس بلاءً يا رسول الله؟ قال: "أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الناس على قدر دينهم، فمن ثخن دينه اشتد بلاؤه، ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه، وإنّ الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشي في الناس ما عليه خطيئة"[2].

وقد خصصت ذكر ابتلاء أولي العزم من الرسل عليهم السلام لما لقوا من شدة في دعواتهم، وما لقوا من أذى من أقوامهم، فكان ابتلاؤهم عظيماً، فأعطاهم الله هذه المكانة والرفعه، واصطفى الله تعالى أولي العزم لشدة صبرهم، فذكر صبرهم على الابتلاء.

أولاً–ابتلاء نوح عليه السلام مع قومه ومع ابنه ومع زوجه

هو أبو البشر، وأول من أرسل الله من الرسل، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحا فيقولون: يا نوح، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض

[1]ابن قيم, محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية, **الفوائد**, ج1/ص 208, دار الكتب العلمية – بيروت, الطبعة الثانية، 1393 هـ – 1973 م.

[2]سبق تخريجه ص22.

وسماك الله عبدا شكورا..."[1]، وبذلك يكون أول أولي العزم من الرسل، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٣٥ ﴾[2]، "هم خمسة: نوحعليه السلام، وإبراهيمعليه السلام، وموسىعليه السلام، وعيسىعليه السلام، ومحمد ﷺ، وهم أصحاب الشرائع"[3]، وقد لقى نوح عليه السلام من عظم البلاء وشدته، فقد ابتلي بقومه وزوجه وابنه، نبينهُ في النقاط الآتيه :

أولاً: ابتلاء نوح عليه السلام بقومه

لقد كانت رحلة الابتلاء طويلة مع نوح عليه السلام في قومه، فقد ابتلي بقومٍ جاحدين معرضين، فصبر عليهم كثيراً وطويلاً ، وظل فيهم زمناً طويلاً يدعوهم، ولم يستجب له إلا القليل منهم ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ١٤ ﴾[4]، ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ ﴾ وعمره أربعون سنة أو أكثر ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا ﴾ يدعوهم إلى توحيد الله، فكذبوه ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ ﴾ أي الماء الكثير طاف بهم وعلاهم فغرقوا ﴿وَهُمۡ ظَٰلِمُونَمشركون﴾ [5]، حيث "مكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما"[6].

نزلت في نوح عليه السلام مع قومه آيات كثيرة في القران الكريم، من ذلك:

---

[1] اخرجه البخاري, **صحيح البخاري**, كتاب الانبياء, باب قول الله تعالى { إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم } نوح 1. إلى آخر السورة, حديث رقم: 3162 (1215 /1).

[2] سورة الأحقاف:الآية 35.

[3] القرطبي, **الجامع لأحكام القرآن**, ج16/ص 220.

[4] سورة العنكبوت: الآية 14.

[5] المحلي والسيوطي, **تفسير الجلالين**, ج1/ ص522.

[6] الطنطاوي, **الوسيط**, ص 3299.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢٥ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ٢٦ ﴾[1]، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٠٥ ﴾[2]، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ٤٦ ﴾[3]، وجميع هذه الآيات جاءت تتحدث عن عصيان قومه وفسقهم، وطول دعوة نبيهم إياهم إلى الله دون استجابة منهم، وما لقي منهم إلا الإعراض و الجحود.

وسُميت سورة كاملة باسمه عليه السلام هي سورة نوح حيث قال الله تعالى فيها:﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ٩ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ ﴾[4].

بيَّنت سورة نوح محنة نوح عليه السلام مع قومه وصبره على إعراضهم، وكم بذل في سبيل الدعوة الى الله من جهد، واتخاذه كل الطرق الممكنة في دعوة قومه، وإرشادهم ونصحهم وترغيبهم، قال ابن عاشور:" أعظم مقاصد السورة ضرب المثل للمشركين بقوم نوح عليه السلام وهم أول المشركين الذين

---

[1] سورة هود : الآيات 25-26.

[2] سورة الشعراء : الآية ١٠٥.

[3] سورة الذاريات : الآية ٤٦.

[4] سورة نوح :الآيات 1 – 10.

سلط عليهم عقاباً في الدنيا، وهو أعظم عقاب أعني الطوفان، وفي ذلك تمثيل لحال النبي صلى الله عليه وسلم مع قومه بحالهم"[1].

ويقول السعدي في تفسيره : " لم يذكر الله في هذه السورة سوى قصة نوح عليه السلام وحدها لطول لبثه في قومه، وتكرار دعوته إلى التوحيد، ونهيه عن الشرك، فأخبر تعالى أنه أرسله إلى قومه، رحمة بهم، وإنذارا لهم من عذاب الله الأليم، خوفا من استمرارهم على كفرهم، فيهلكهم الله هلاكا أبديا، ويعذبهم عذابا سرمديا، فامتثل نوح عليه السلام لذلك، وابتدر لأمر الله، فقال: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾ "[2].

وقع البلاء لنوح عليه السلام الذي أعرض عنه قومهُ وابتعدوا عنه، فظلموا أنفسهم وطغَوا في البلاد وعلى العباد، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ٥٠ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ ٥١ وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ ٥٢ ﴾[3]، إنّ قوم نوح عليه السلام "كانوا أظلم من غيرهم وأغوى لطول أعمارهم، وقوة أجسادهم"[4]، فالظلم تكون عواقبه غير محمودة على المظلوم في الحياة الدنيا، ووخيمة على الظالم في الحياة الأخروية عندما يأخذ الله بناصية الظالم فلم يفلته في يوم الحساب، وعرض الأعمال ونشر الصحف، فنبي الله نوح عليه السلام تحلى بالصبر والتقوى في هداية قومه العاصين، وابتلي نوح عليه السلام بفسق قومه أي: "الخروج عن الطاعة، والفاسقون هم التاركون لأمر الله تعالى بالإيمان والعمل الصالح، وبترك الشرك والمعاصي"[5]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن

---

[1] ابن عاشور, **التحرير والتنوير**, ج 29/ ص 185.

[2] السعدي, **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**, ص888.

[3] سورة النجم : الآيات50 – 52.

[4] القشيري، عبد الكريم بن هوازن، **لطائف الإشارات**، ج3/ص491 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة، بمصر، تحقيق: إبراهيم البسيوني.

[5] ابو بكر الجزائري، جابر بن موسى الجزائري ، **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، ج1/ص37 ، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الخامسة 5، 1424هـ- 2003م، المدينة المنورة.

قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[1]، أي "وفي إرسالنا نوحاً إلى قومه وتكذيبهم إياه وإصرارهم على الشرك والكفر والتكذيب ثم إهلاكنا لهم بالطوفان وانجائنا المؤمنين آية من أعظم الآيات الدالة على وجود الله تعالى وربوبيته وألوهيته للعالمين، والمستلزمة لقدرته على البعث والجزاء الذي يصر الملاحدة على إنكاره ليواصلوا فسقهم وفجورهم بلا تأنيب ضمير ولا حياء ولا خوف أو وجل"[2].

إنه ابتلاء واختبار في مواجهة قوم ظالمين فاسقين يستهزئون بنبيهم ويسخرون منه ويكذبونه وهو يحاورهم ويصبر على أذاهم ولسانهم السليط، فواجه هذه الجماعاتِ بمفرده وخاطبهم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ﴾[3]، فتكبر قومه وتعالوا عليه بأنه ما هو إلا بشر مثلهم واستهزأوا بمن تبعوه بأنهم ليسوا من أعالي القوم وشرفائهم، فما كان لنوح عليه السلام إلا أن يصبر على قولهم وتهكمهم، وابتلي نوح عليه السلام بالجدل العقيم معهم، لإصرارهم على كفرهم، فذكر الله في كتابه العزيز الحوارات التي كانت تدور بين نوح عليه السلام وقومه وبينها، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ

[1] سورة الذاريات: الآيات 43-46.

[2] ابو بكر الجزائري، **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، ج5/ص167.

[3] سورة هود :الآية 27.

ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣١ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٣٢ قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ٣٣﴾[1]؛ فهذا الجدل العقيم معهم بلاءُ مبين، والله خير معين لرسوله ﷺ، "فكم من عاتٍ مستكبر كان سبباً في اهلاك غيره من أولئك المستضعفين، ولهذا نجد القرآن الكريم قد أعطى هذه القضية عناية خاصة، وذلك حتى لا يكون كثير من الأفراد (الإمّعات)[2] "[3].

وبيّن الله تعالى ابتلاء قوم نوح ﷺ وتمحيصهم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٣٦ ﴾[4]، هون الله على نوح ﷺ عصيان قومه ودعاه إلى عدم اليأس، مما فعل الفجار الجاحدون، فحذرهم وأنذرهم كما بيّن سبحانه نشاط قوم نوح ﷺ ودأبهم في الكفر والتكذيب وسائر المعاصي، ويُعد ذلك دأباً دائماً منهم لا يفترون عنه[5]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ٣٠ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴾[6].

---

[1] سورة هود : الآيات 28 – 33.

[2] يقال رجلٌ إمَّعٌ وإمَّعَةٌ أيضاً، للذي يكون لضعف رأيه مع كلِّ أحدٍ. ومنه قول ابن مسعود: " لا يَكونَنَّ أحدُكم إمَّعَةً ", **الصحاح في اللغة**, ج2/ص 22.

[3] فضل عباس، **القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته**، ص81، دار الفرقان, الطبعة الاولى، 1407هـ– 1987م، الأردن.

[4] سورة هود : الآية 36.

[5] انظر: الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج4 /ص164.

[6] سورة غافر : الآيات 30 – 31.

ويتوالى الابتلاء بالأمر والتكليف بصناعة السفينة في الصحراء، سخر قومه منه لأنهم لم يعهدو هذا من ذي قبل، بمعنى أن كل تغيير يواجه صعوباتٍ ، فابتلاء صناعة السفينه، واختيار الفئة المؤمنة وكيفية عمل السفينة، كل ذلك يتطلب مشقةً وتعباً، ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٣٧﴾[1]، وهنا ابتلاء لنوح عليه السلام واختبار له، فقد أمره الله بصنع سفينة في الصحراء وهذا ما يستغربه العقل، وما كان من نوح عليه السلام إلا أنه امتثل لأمر الله وأطاع، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ٣٨ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٣٩ ﴾[2]، فاستهزأ قوم نوح عليه السلام منه لصنعه سفينةً في الصحراء، فكان هذا الأمر بمثابة اختبار لنوح عليه السلام ومن آمن معه من قومه" كَانُوا إِذا مروا عَلَيْهِ قَالُوا: إِن هَذَا الَّذِي كَانَ يزْعم أَنه نَبِي قد صَار نجاراً، وَرُوِيَ أَنهم كَانُوا يَقُولُونَ لَهُ: يَا نوح، مَا تصنع؟ فَيَقُول: أصنع بَيْتا يمشي على المَاء، فيضحكون ويتعجبون مِنْهُ"[3]، فيشد الله من أزر نوح عليه السلام رغم كفران قومه، فصناعة السفينة كانت منحةً لهم فأكرمه بـِ "صنعة الفلك حتى أوحى الله إليه كيف يصنعها"[4]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَوۡمَ نُوحٖ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغۡرَقۡنَٰهُمۡ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ لِلنَّاسِ ءَايَةٗۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمَا ٣٧ ﴾[5]، فكانت لهم بعد المحنة منحةً، فنجاهم الله وأهلك قومه الظالمين وأغرقهم.

---

[1] سورة هود : الآية 37.

[2] سورة هود : الآيات38 – 41.

[3] السمعاني، **تفسير القرآن** ، ج2/ص428.

[4] الواحدي، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ص520 ، ط1.

[5] سورة الفرقان :الآية 21.

تلك الابتلاءات تعرض لها نوح عليه السلام مع قومه، ولكن الله تكفل برعايته، وأوحى إليه وألهمه سُبل الرشاد وطريق الصواب، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ٤٨ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾[1]، فكان ثمرة صبرهم وطاعتهم لأمر ربهم ونجاحهم في اختبارهم، أنّ لهم حسن العاقبة التي ينالها المتقون.

ثانيا: ابتلاء نوح عليه السلام بابنه

ابتلي النبي نوح عليه السلام في أحد أبنائه، وما أشده من ابتلاء أن يكون ابنه على الكفر ويموت على ذلك، نوح عليه السلام يدعوه إلى الهداية والنجاة، وهو متمسك بكفره معرضاً عما يدعوه إليه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٢ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ٤٣ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٤٥ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٤٦ ﴾[2]، أي ابتلاء أعظم من أن يرى الأب ابنه يغرق أمامه في موج كالجبال؟ لقد دعا نوح عليه السلام ابنه وأمره بأن يسلك سُبل النجاة ونهاه عن طريق

[1] سورة هود:الآيات 48-49 .

[2] سورة هود : الآيات42- 46.

الكفر، ولكنه الابتلاء المبين في المعصية والإقلاع عن طاعة الوالدين، لأن طاعتهما من طاعة الله، وسلم نوح لقضاء الله وقدره، تعاظم أثر الابتلاء في قلب نوح عليه السلام بعدما غرق ابنه مع القوم الكافرين، وكتب الله له ولمَن معه سوء العاقبة ، فما كان منه إلا الصبرُ والرضا.

ثالثا: ابتلاء نوح عليه السلام مع زوجه

وابتلي نوح عليه السلام أيضاً بزوجه التي خاضت الحديث مع الساخرين، فتوعدها الله بنار جنهم ذلك المصير المحتوم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ١٠ ﴾[1]،" يقصد بالخيانة التي قامت بها امرأة نوح عليه السلام في الدِّين فكانت امرأةُ نوحٍ تخبر قومه أنَّه مجنونٌ"[2]، فامرأة نوح عليه السلام تفشي سر من يؤمن بزوجها، وتُخبر به الجبابرة من قوم نوح حتى يبطشوا به، وكانت تقول لهم: إن زوجها مجنون، ويوحي ذلك بـِ" عدم تضرر المؤمن بقرابة الكافر ولو كانت القرابة الزوجية وما أقواها"[3]، فكما ابتلي بابنه العاصي ابتلي بزوجه العاصية، ولكن الهداية بيد الله وحده لا يملكها نبيٌ أو مَلك.

ومن خلال رحلة نوح عليه السلام مع الابتلاء أستنتج :

أن نوحاً عليه السلام مر بابتلاءات عديدة، منها ابتلاؤه بقومه الكافرين، بقوم ظل يدعوهم زمناً طويلاً فلم يتراجع أو يقنط رغم ما لقي منهم من الاستهزاء والسخرية والإعراض، فما كان منه إلا أن ثبتَ وصبرَ، فقد كانت عناية الله معه وهو ناصره، وكانت له النجاة ولقومه الهلاك، قال تعالى عن نوح عليه السلام:﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ وَإِن كُنَّا لَمُبۡتَلِينَ ٣٠ ﴾[4]، " قوله تعالى : { إِنَّ فِي ذَٰلِكَ }

---

[1] سورة التحريم : الآية10.

[2] الواحدي، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ص1114.

[3] الجزائري، **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، ج5/ص390.

[4] سورة المؤمنون: الآية 30.

أي في أمر نوحﷺ والسفينة وإهلاك الكافرين، { لَآيَٰتٍ } أي دلالات على كمال قدرة الله تعالى، وأنه ينصر أنبياءه ويهلك أعداءهم، { وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ } أي ما كنا إلا مبتلين الأمم قبلكم ؛ أي مختبرين لهم بإرسال الرسل إليهم ليظهر المطيع والعاصي"[1].

وابتلي بابنه الذي رفض طاعته بعدما أخذته العزة بنفسه، فالله له حكمةٌ عظيمةٌ في هداية الناس، وابتلي قلب نوح بالصبر على العصيان، ودعوة الله لقومه ولابنه بالهداية، وابتلي بزوجه التي نشرت الأكاذيب وسخرت منه مع الساخرين من قوم كفروا بنعم الله، فالابتلاء والعذاب"يُدفع بالطاعة لا بالوسيلة، ويقال: إن كفار مكة استهزأوا وقالوا: إن محمد(ﷺ) يشفع لنا" [2]، فلا تنفع الكافرين شفاعة، ويقول الزحيلي: " إن في أمر نوحﷺ والسفينة وإهلاك الكافرين لدلالات على كمال قدرة الله تعالى، وأنه ينصر أنبياءه، ويهلك أعداءهم، وأنه تعالى يختبر الأمم بإرسال الرسل إليهم ليظهر المطيع والعاصي"[3].

ثانياً–ابتلاء إبراهيم ﷺ مع أبيه وقومه، وابنه إسماعيل وذبحه

لقد كرم الله تبارك وتعالى إبراهيم ﷺ تكريماً خاصاً، فجعل ملته هي التوحيد الخالص النقي من الشوائب، وهو أيضاً ﷺ أبو الأنبياء وفيه قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾[4].

كان لنبي الله إبراهيم ﷺ نصيبٌ وافرٌ من الابتلاءات ، فقد لقي في حياته ألواناً من الأذى النفسي والجسديّ ، في نفسه وأهله ، ناهيك عن فراق الأوطان ، ومقابلة قومه لدعوته

---

[1] القرطبي, **الجامع لأحكام القران**, ج12/ص120.

[2] عبد العظيم، سعيد عبد العظيم، **عظات وعبر في قصص الأنبياء**، ص63، دار القمة ودار الإيمان, الطبعة الاولى، 2003م، الإسكندرية.

[3] الزحيلي, وهبة بن مصطفى الزحيلي, **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**, ج18/ ص38, دار الفكر المعاصر – دمشقالطبعة الثانية، 1418 هـ.

[4] سورة الحج : الآية 78.

بالصدّ والاستهزاء، وهو النبي الذي ابتلاه الله ببلاء وصفه الله في كتابه بالمبين، قَالَ تَعَالَى:﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ ﴾[1]، وهذه عبارةٌ صريحةٌ في الابتلاء، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2]، واختلف العلماء في المراد { بِكَلِمَاتٍ } على أقوال:

1. شرائع الإسلام.
2. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
3. أداء الرسالة.
4. ذبح ولده.

"اختبره بأوامر ونواهيه واختبار الله عبده مجاز عن تمكينه عن اختيار أحد الأمرين ما يريد الله وما يشتهيه العبد، كأنه يمتحنه ما يكون منه"[3].

بكلمات "وقرأ الباقون بالنصّب، وجعلوا معنى الابتلاء، الاختيار، والامتحان في الأمر، وهو الصحيح"[4]، "ذكر بعض ما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ ﴾، ففي الآية " الثناء على إبراهيم عليه السلام بأنه أتم الكلمات التي ابتلاه بها، وقيل: إن الله لم يبتل أحدا بهذا الدين فأتمه إلا إبراهيم، ولهذا قَالَ تَعَالَى:﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ ﴾ "[5].

---

[1] سورة الصافات : الآية 106.

[2] سورة البقرة : الآية124.

[3] الزمخشري, **الكشاف، ج1/** ص 209.

[4] النيسابوري, أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري, **الكشف والبيان**, ج1/ ص 267, دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان, الطبعة الاولى 1422 هـ – 2002 م .

[5] ابن سليمان التميمي, محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي, **تفسير آيات من القرآن الكريم**, ج5/ ص30, جمعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية. والاية من سورة النجم :الاية 37.

أي، اذكر لهؤلاء اختبار إبراهيمﷺ ؛ لأن الله اختبره باوامر ونهاه عن نواهيه وكان إبراهيمﷺ اهلاً لهذا الاختبار ووفى حقه وما أمر به،"ومعنى الابتلاء الاختبار والامتحان والأمر، وابتلاء الله العباد ليس ليعلم أحوالهم بالابتلاء، لأنه عالم بهم، ولكن ليعلم العباد أحوالهم حتى يعرف بعضهم بعضا"[1].

وقوله { وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ } " فتوفيته أنه بذل المجهود في جميع ما طولب به، مما أشار إليه في قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم ﴾[2]، من بذل ماله بالإنفاق في طاعته ، وبذل ولده الذي هو أعز من نفسه للقربان ، وإلى ما نبه عليه بقوله { وَفَّىٰٓ } أشار بقوله تعالى { وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّ} وتوفية الشيء بذله واستيفاؤه تناوله وافيا"[3].

ابتلي إبراهيم (ﷺ) بابتلاءات كثيرة منها:

1. ابتلاء الأب.
2. ابتلاء القوم.
3. ابتلاء الملك.
4. ابتلاء الوطن.
5. ابتلاء الابن.

ومن خلال هذا البحث سأعرض بعضاً من ابتلاءات إبراهيم ﷺ، نذكر منها:

أولاً: ابتلاؤه ﷺ مع أبيه

---

[1] البغوي, **معالم التنزيل في تفسير القرآن** ، ج1/ ص145.

[2] سورة التوبة: الآية 111.

[3] الراغب الأصفهاني, **المفردات في غريب القرآن**, ص528.

ابتلي إبراهيم(عليه السلام) بأبيه الذي يعبد الأصنام والتماثيل، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾[1]، " وأخذ يدعو قومه، فبدأ بأبيه؛ حيث دعا أباه إلى الحق بألطفِ عبارةٍ وأحسنِ إشارةٍ، وبيّن له بطلان ما هو عليه من عبادة الأوثان التي لا تسمع دعاء عابدها، ولا تبصر مكانه، فكيف تغني عنه شيئاً أو تفعل به خيراً من رزق أو نصر؟"[2]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ ﴾[3]، فهي دعوة تخاطب العقل بكل تأدب وحرص من الابن للوالد رغم كفره وشركه بالله، لكن الشرك كان قد فعلَ فعلهُ في الوالد، فما أدرك هذا الأدب، بل تهدده وتوعده، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴾[4]، و دعا أباه إلى طريق الحق والحكمة والرشاد، حتى يبعده عن طريق الزيغ والضلال، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾[5]، ولكنه لم يستجب.

---

[1] سورة الأنبياء : الآيات 51-52.

[2] ابن كثير, أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي, **قصص الانبياء**, ج1/ص97, مطبعة دار التأليف – القاهرة, الطبعة الأولى، 1388 هـ - 1968 م, تحقيق مصطفى عبد الواحد.

[3] سورة مريم : الآيات 41-45.

[2] سورة مريم : الآية.4

[5] سورة الصافات : الآيات ٨٥ – ٨٧.

وتأتي آياتُ سورة مريم لتجليَ لنا كيفية تلك المناظرة والمجادلة من ناحية الخليلﷺ بالتي هي أحسن، ومن ناحية أبيه بمجازاة الحسنة بالسيئة، وقال تعالى:﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٤١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥ ﴾[1].

وهذا خليل الله إبراهيمﷺ يجيب أباه بجواب عباد الرحمن عند خطاب الجاهلين إذ لم يشتمه، بل صبر عليه، ولم يقابل أباه بما يكره، بل قال مخاطباً برفقه وحنانه مع أبيه، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ٤٨ ﴾[2].

ولذلك قال النبي ﷺ : "يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة –سواد وغبرة– فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني، فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون، وأي خزي أخزى من أبي الأبعد، فيقول الله: إني حرمت الجنة على الكافرين، فيقال: يا إبراهيم انظر ما بين رجليك، فينظر فإذا هو بذيخ يعني ضبع متلطخ قذرا منتنا، فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار"[3].

---

[1] سورة مريم : الآيات ٤١ – ٤٥.

[2] سورة مريم : الآيات 47–48.

[3] اخرجه البخاري, **صحيح البخاري**, كتاب الانبياء, باب قول الله تعالى { واتخذ الله إبراهيم خليلا } (النساء 125), حديث رقم: 3172 (3/1223).

ثانياً: ابتلاؤه عليه السلام مع قومه

بعد أن عرض إبراهيم الدعوة على والده، وقوبل بالرفض، خرج على قومه بدعوته، وقال بحسم غاضبٍ وغيرةٍ على الحق، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾﴾[1].

لقد ابتلي إبراهيم عليه السلام بقومه الذين رفضُوا ما جاء به من خبر اليقين الذي ألهمه إياه رب العالمين، فواجه إبراهيم عليه السلام الأباطيلَ وعبادة الأصنام، وحاور قومه وجادلهم وناظرهم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾[2]، وقابلوا دعوته بالرفض والطغيان، فحطم لهم اصنامهم وجادلهم بالعقل والحكمة، ولكنهم قابلوا ذلك بأن قالوا: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾﴾[3]، نعم ابتلي إبراهيم عليه السلام بالجدل العميق في طريق دعوته للحق والرشاد، فواجه قومه وحيداً لا يخشى إلا الله، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى

[1] سورة الأنبياء : الآيات 52- 55.

[2] سورة الأنبياء : الآيات 53- 57.

[3] سورة الانبياء : الآية 68.

ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[1]، فكان الابتلاء بالحرق الذي نجاه الله منه، وذلك ليمتحن الله قلبه وصبره على مكائد الكفر والعصيان، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾[2]، "فلم تحرق منه غير وثاقه وذهبت حرارتها وبقيت إضاءتها وبقوله { وَسَلَٰمًا } سلم من الموت ببردها"[3]، وقد كان إبراهيم عليه السلام في هذا الابتلاء من الناجين.

فالله سبحانه وتعالى بيَّن "ما أظهره إبراهيم عليه السلام من دلائل التوحيد وإبطال ما كانوا عليه من عبادة التماثيل، أتبعه بما يدل على جهلهم" [4]، عندما أرادوا حرقه في النار، فهذا الابتلاء العظيم الذي تعرض له إبراهيم من جميع قومه" كَانَ الرجل مِنْهُم يمرض فيوصي بشرَاء الْحَطب وإلقائه فِيهِ، وَالْمَرْأَة تغزل فتشتري الْحَطب بغزلها فتلقيه فِيهِ، ثمَّ أوقدوا عَلَيْهَا سَبْعَة أَيَّام، ثمَّ ألقوا فِيهَا إِبْرَاهِيم. وَرُوِيَ أَنهم لم يعلمُوا كَيفَ يلقونه فِيها؟ فجَاء إِبْلِيس – عَلَيْهِ مَا يسْتَحق – وعلمهم عمل المنجنيق، فوضعوه فِيهِ، وطرحوه فِي النَّار" [5]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَأَقۡبَلُوٓاْ إِلَيۡهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾[6] وبعد كل هذا الابتلاء الذي اعترض دعوته تحولَ البلاء إلى برد وسلام، وتلك نعمة من الله أسدلها على نبيه إبراهيم عليه السلام، وكتب له العزةَ والتمكين ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾[7]، "أي أنهم خسروا السَّعْي وَالنَّفقَة، وَلم يحصل لَهُم مُرَادهم"[1].

---

[1] سورة النحل : الآيات 120-122.

[2] سورة الأنبياء : الآية ٦٩.

[3] المحلي والسيوطي, **تفسير الجلالين**,ص427.

[4] الرازي، **مفاتيح الغيب** ، ج22/ص157 ، ط3.

[5] السمعاني، **تفسير القرآن**, ج3/ ص390.

[6] سورة الصافات : الآيات 94-98.

[7] سورة الأنبياء : الآيتين 70-71.

وابتلي إبراهيم بالجدال مع ملك الغواية النمرود وأجرى معه مناظرة، فهذا الابتلاء يحتاج إلى حكمةً وصبر وحلم، والطريق إلى الصبر مشحونة بالابتلاءات، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ [2]، انه ملك بابل الذي تكبر على دعوة إبراهيمعليه السلام "ملك بابل إنه النمرود المتمرد على وحدانية الله وربوبيته، ملك الدنيا، وفيما قيل في ذلك: إنه قد ملك الدنيا أربعة، مؤمنان وكافران مشارق الأرض ومغاربها، فالمؤمنان: سليمان بن داود، وذو القرنين، والكافران: نمروذ، وبختنصر"[3].

أي: "إلى جراءته وتجاهله وعناده ومحاجته فيما لا يقبل التشكيك، وما حمله على ذلك إلا { أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ } فطغى وبغى ورأى نفسه مترئسا على رعيته، فحمله ذلك على أن حاج إبراهيم في ربوبية الله"[4]، تجسد الابتلاء في ادّعاء النمرود الربوبية، فأفحمه إبراهيم عليه السلام بملكوت الله وقدرته على تسيير أمور الكون، فهذا مثال لإخراج الله تعالى أولياءه من ظلمة الجهل إلى نور العلم، فيدل هذا الابتلاء على "نصرة الله لأوليائه وإلهامهم الحجة لخصم أعدائهم، ويُؤكد أن ظلم العبد ووالى الظلم حتى أصبح وصفاً له يحرم هداية الله تعالى فلا يهتدي أبداً، وجواز المجادلة والمناظرة في إثبات العقيدة الصحيحة السليمة"[5]، والصبر على الابتلاء تكون ثماره الفوز والفلاح في القيام بواجب دعوة الناس إلى عبادة الله.

---

[1] السمعاني، **تفسير القرآن**، ج3/ ص392.

[2] سورة البقرة : الآية 258.

[3] ابن كثير, **تفسير القرآن العظيم**, ج1/ ص 686.

[4] السعدي, **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**, ص111.

[5] الجزائري، **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، ج1/ ص248.

فكتب الله له النجاة من قومه وهذا الملك الظالم، إنها قوة إيمان إبراهيمعليه السلام وسلامة عقيدته التي ابتلاه الله في سبيل هداية قومه وإرشادهم إلى طريق الحق والصواب، وسلامة تصرفاته وسلوكياته في سبيل إيصال رسالات ربه، فقد صبر على مخاطبة قومه واتبع منهجاً حكيماً في الحوار، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠ ﴾[1]، نجّى الله سبحانه وتعالى إبراهيمعليه السلام من بطش الملك والقوم الظالمين ودعا عليه السلام الله تعالى أن يعوضه خيراً منهم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٩٩ ﴾[2]، أي رب هب لي أولاداً مطيعين، يعينونني على الدعوة، ويؤنسونني في الغربة، ويكونون عوضاً من قومي وعشيرتي الذين فارقتهم[3].

ثالثاً: ابتلاؤه بذبح ولده إسماعيل عليه السلام

ولا تتوقف ابتلاءات ابراهيم الخليلعليه السلام فقد أتى أمر الله الذي ابتلي فيه إبراهيمعليه السلام، برؤية ابنه في منامه التي أراها إياه الله عز وجل بأنه يذبح ابنه إسماعيلعليه السلام، فقال تعالى﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ ﴾[4]، ما اعجبه من ابتلاء أن يتحتم على المرء قتل ابنه وبيده أيضاً! فبعد أن كبر ابنه وترعرع، يأتيه الأمر بذبحه، قال ابن عباس: "(رؤيا الأنبياء وحيٌ) وتلا الآية وقيل: كانت الرسل يأتيهم الوحي من الله تعالى أيقاضاً ورقوداً، لأن الأنبياء تنام عيونهم ولا تنام قلوبهم"[5].

---

[1] سورة الأنعام : الآية 80.

[2] سورة الصافات : الآيات 99-101.

[3] المراغي، **تفسير القرآن**، ج23/ ص72. وانظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج7/ ص27.

[4] سورة الصافات : الآية 102.

[5] الصابوني، محمد علي الصابوني ، **صفوة التفاسير**، ج3/ ص36، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الاولى، 1417هـ-1997م، القاهرة.

لقد أعلم إبراهيم ابنه إسماعيل بالرؤيا" ليكون أهون عليه، وليختبر صبره وجلده وعزمه من صغره على طاعة الله تعالى وطاعة أبيه" [1] ، فطاوع اسماعيل أباه، وأخبره بأنه سيصبرُ ويحتسبُ ذلك عند الله عزوجل، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢ ﴾ [2]، وقد قال سبحانه وتعالى في مدح إسماعيل: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ٥٥ ﴾.[3]

قال ابن القيم :" ولما سأل ابراهيمعليه السلام الولد فأعطيه، فتعلق حبه بقلبه فاخذ منه شعبة؛ غار الحبيب على خليله أن يكون في قلبه موضع لغيره فأمر بذبحه وكان الأمر في المنام ليكون تنفيذ المأمور به أعظم ابتلاء وامتحانا ولم يكن المقصود ذبح الولد ولكن المقصود ذبحه من قلبه ليخلص القلب للرب فلما بادر الخليلعليه السلام إلى الامتثال وقدم محبة الله على محبة ولده حصل المقصود فرفع الذبح وفدى بذبح عظيم"[4] .

إنّ الصبر على الابتلاءات في سبيل تبليغ كلمة الحق وبيان سُبل الرشاد، من مقومات نجاح الدعوة التي يقوم بها الأنبياء، فنزول الابتلاء يتلوه النجاة والنصر والتمكين لمَنْ أخلص عمله لله وأتاه بقلب سليم كإبراهيمعليه السلام، فبدأ اللحظات العصيبة التي تمثل قمة الابتلاء، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا

---

[1] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج7/ ص28.

[2] سورة الصافات : الآية 102.

[3] سورة مريم : الآيات 54-55.

[4] ابن القيم, محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم, **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)**, ج1/ ص124, دار الكتب العلمية – بيروت.

كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦ ﴾ [1]، لقد انقاد إبراهيمعليه السلام لأمر الله، وابنه ايضاً امتثل لطاعة الله وأبيه، "وصرعه على وجهه ليذبحه من قفا، ولا يشاهد وجهه عند ذبحه، ليكون أهون عليه، وعلى إسماعيل قميص أبيض، فقال له: يا أبتِ، إنه ليس لي ثوب تكفنني فيه غيره، فاخلعهُ حتى تكفنني فيه، فعالجه ليخلعه، فنودي من خلفه، فالتفت إبراهيم فإذا بكبش أبيض أقرن أعين"[2]، فأصبحت سنة الذبح والنحر للمسلمين عامةً.

يُلحظ من خلال الحديث عن ابتلاء إبراهيم عليه السلام ما يلي:

أن ابراهيم عليه السلام لقي من الابتلاء ما لقيه الأنبياء من قبله ومن بعده من ابتلاء مع قومه، لكن اختلف ابتلاؤه عن غيره من الأنبياء أن ابتلاه الله بأبٍ كافرٍ معرضٍ عن الإيمان، وأنه ابتلي ايضاً بأمر شديدٍ، وهو أن أمر بذبخ ابنه، ولكنّ الله نجاه وتجدر الإشارة إلى إنّ ابتلاء العبد المؤمن وإخلاصه في العمل لله عز وجل من مُسببات النجاة والفلاح، وإحياء الذكر على مر الأزمان إلى أن يرث الله الأرض وما عليها، إن الله عز وجل لا يريد أن يعذبه بالابتلاء، ولا أن يؤذيَه بالبلاء، وإنما يريد منه أن يأتيه طائعاً ملبياً، لا يتأله عليه، ولا يقدم بين يديه، فإذا عرف منه الصدق عفاه من الآلام والتضحيات، واحتسبها كما لو أداها، وأكرمه كما أكرم أباه إبراهيم من قبل.

لقد أصبح إبراهيمعليه السلام إماماً ومثالاً لليقين والصبر على البلاء وقدوةً في تحقيق وعد الله لأهل الحق في كل الأجيال.

---

[1] سورة الصافات : الآيات 103-113.

[2] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج7/ ص28.

ثالثاً- ابتلاء موسىعليه السلام والمحن التي مر بها:

هو كليم الله، الذي كانت حياته ابتلاء تلو ابتلاء، من الجبابرة فرعون وهامان ومن بني إسرائيل، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٤﴾[1].

من هنا بدأت قصة موسىعليه السلام مع الابتلاء منذ لحظة خروجه الى الدينا، جاء الدنيا وحياتُه مهددة بالقتل، إنّه الحاكم الظالم، مدعي الألوهية الذي أمر بقتل كل صبي يُولد، " الحلقات المعروضة من القصة ... حلقة مولد موسى عليه السلام وما أحاط بهذا المولد من ظروف قاسية في ظاهرها ، وما صاحبه من رعاية الله وعنايته . وحلقة فتوته وما آتاه الله من الحكم والعلم ، وما وقع فيها من قتل القبطي ، وتآمر فرعون وملئه عليه ، وهربه من مصر إلى أرض مدين ، وزواجه فيها ، وقضاء سنوات الخدمة بها . وحلقة النداء والتكليف بالرسالة ، ثم مواجهة فرعون وملأه وتكذيبهم لموسى وهارون . والعاقبة الأخيرة الغرق ..."[2] .

وتتالت الابتلاءات على نبي الله موسى عليه السلامعلى الرغم من صغر سنه وحداثة عمره، ليصنعه الله على عينه، فقد جاءت المحنة الأولى بأن وقع في يد فرعون، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ٣٨ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩ ﴾ [3]، وبعد أن كبر عند فرعون وفي قصره تعرض لمحنة جديدة عندما قتل رجلاً من آل فرعون، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي

[1] سورة القصص : الآية 4.

[2] قطب, سيد, **تفسير الظلال**, ج5/ص408.

[3] سورة طه : الآيات 38 – 39.

مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾[1].

اعلم موسى عليه السلام أن فرعون وملأه يريدون قتله، فخرج موسى عليه السلام هارباً إلى مدين، ووقع في الفتنة عندما جاء إلى أهل مدين، انها حياة البعد عن الأوطان القاسية، فاغترب وأصابته الوحشة، وبدأ يبحث عن عمل من أجل العيش والحياة، فالتقى ببنتي شعيب عليه السلام عندما سقى لهما الغنم، فأخبرتا أباهما عنه فاستدعاه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾[2]، عرض عليه أن يستأجره ثماني سنوات مقابل أن يزوّجه إحدى ابنتيه، ومكث عندهم طوال هذه المدة، وعاد الى قومه بالدعوة والرسالة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[3]، " بعث الله عز وجل موسى نبيّه، وضمّ إليه هارون صفيّه، فقوبلا بالتكذيب والجحود، فسلك بهما مسلك إخوانهم في التعذيب والتبعيد"[4]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ

---

[1] سورة القصص : الآية 15.

[2] سورة القصص : الآية24-25.

[3] سورة الأعراف : الآية 103.

[4] القشيري، **لطائف الإشارات**، ج1/ ص554-55.

جِئْتَ بِـَٔايَةٖ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١٠٦ ﴾[1]، "فالرجوع إلى دعاء فرعون إلى الله بعد سماع كلام الله بلا واسطة صعب شديد، ولكنه لمّا ورد الأمر قابله بحسن القبول، فلما ترك اختيار نفسه أيّده الحق–سبحانه– بنور التأييد حتى شاهد فرعون"[2]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ١٠٧ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ١٠٨ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ١٠٩ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُمۡۖ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ ١١٠ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ١١١ ﴾[3]، لقد صبر موسىعليه السلامعلى فرعون، وجزاء لهذا الصبر أيد الله عز وجل موسى عليه السلام بالمعجزات الباهرات الخالدات ونصره على سحرة فرعون ، ابتلي موسىعليه السلام بالكفرة الفاجرين فرعون وهامان، وتعرض للملاحقة هو ومن آمن معه من بني إسرائيل، ولم يترك الله موسىعليه السلام فمكن له في الأرض رغم مكر الكافرين، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ ٦ ﴾[4]، "لقد مكن الله لفرعون وهامان اللذين كانا يحذران من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم"[5]، وهو موسى عليه السلام.

لقد طغى فرعون وتكبر على موسى عليه السلام ومن آمن معه، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا

---

[1] سورة الأعراف : الآيات 104 – 106.

[2] القشيري، **لطائف الإشارات**، ج1 / ص55.

[3] سورة الأعراف : الآيات 108– 112.

[4] سورة القصص : الآية 6.

[5] انظر: البيضاوي، عبد الله بن عمر، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج4/ ص171، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الاولى، 1418هـ، بيروت، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي.

لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [1]، لقد ابتلي موسىعليه السلام بشدة عصيان فرعون وجبروته ومساعدة هامان له التي ابتلي بها موسىعليه السلام، فأخذ الله فرعون وجنوده أخذ عزيز مقتدر، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[2]، وهذه نتيجة الابتلاء يكون بعد الفرج وتنفيس الكرب، فموسى عليه السلام صبر وظفر بالنصر والعزة من الله عز وجل.

ولكن لم تتوقف الابتلاءات هنا عند موسىعليه السلام، بل لقي من قومه الجاهلين ابتلاءات جديدة، بعد أن توالت نعم الله على بني إسرائيل وموسىعليه السلام حتى وعده ربه لميقاته، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾[3]، فعندما رجع ووجد قومه عاكفين على عبادة العجل الذي عمله السامري، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ ﴾[4]، " الظَّاهِرُ أَنَّ الْفِتْنَةَ الْمَذْكُورَةَ هِيَ عِبَادَتُهُمُ الْعِجْلَ، فَهِيَ فِتْنَةُ إضْلَالٍ... وَالسَّامِرِيُّ: قِيلَ اسْمُهُ هَارُونُ، وَقِيلَ اسْمُهُ مُوسَى بْنُ ظُفَرَ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُ مِنْ قَوْمٍ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْبَقَرَ. وَقِيلَ: كَانَ رَجُلًا مِنَ الْقِبْطِ. وَكَانَ جَارًا لِمُوسَى آمَنَ بِهِ وَخَرَجَ مَعَهُ. وَقِيلَ: كَانَ عَظِيمًا مِنْ عُظَمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ قَبِيلَةٍ تُعْرَفُ بِالسَّامِرَةِ وَهُمْ مَعْرُوفُونَ

[1] سورة القصص : الآيات 38 – 40.

[2] سورة الشعراء : الآيات 63–66.

[3] سورة الأعراف: الآية 142.

[4] سورة طه: الآية 85.

بِالشَّامِ...."[1]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ١٤٨ ﴾[2]، فقد فتن قومه من بعده وعبدوا العجل، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ١٥٢ ﴾[3].

لم يتوقف الأمر عند بني إسرائيل عند هذا الابتلاء ، بل إنهم تجاوزوا حدهم وطلبوا من نبيهم موسىعليه السلام رؤية الله جهرة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَقَدۡ سَأَلُوٓاْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡ﴾[4]، لقد أُوذي موسىعليه السلام أذى كبيراً من قومه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا﴾[5]، قد كانت طريق دعوة موسى عليه السلام مليئة بالابتلاءات والصعاب فهذه هي طريق الأنبياء عليهم السلام.

يُستنتج من خلال الحديث عن ابتلاء موسىعليه السلام ما يلي :

أن كليم الله موسى كان الابتلاء مصاحباً له منذ ولادته، فامتن الله عليه بالحفظ والرعاية والنجاة من القتل، فقد كان الظالم فرعون ملك مصر، وكان يقتل الأبناء من الذكور ويترك البنات فنجاه الله حتى أصبح وكبر في قصر فرعون، ولما كبر مر بمحنةِ جديدةِ وهي: قتل القبطي وهجرة موسى، فصار بسببه مطلوباً لفرعون ولجنده، لكنه كان قوي الإيمان متوكلاً على الله فبعثه

---

[1] الشنقيطي, محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: 1393هـ), **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**, ص78/ج4, دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان, 1415هـ – 1995 مـ.

[2] سورة الأعراف : الآية 148 .

[3] سورة الأعراف: الآية 152.

[4] سورة النساء: الآية 153.

[5] سورة الأحزاب : الآية69.

الله لهداية قومه، كما وابتلي موسى بفرعون في دعوته، فرعون اشهر طاغية عرفه التاريخ مدعي الألوهية فرعون الجاحد، فمر بمرحلة في الدعوة شديدة، ولكن الله نصره وأظهر دعوته وأهلك فرعون ومن معه، فلا بد للحق ان يعلو رغم كل الصعاب، وأن بعد الابتلاء نصراً وعزةً، فلا بد مِن الصبر والإصرار على الحق، لان الله متوكل بعباده المؤمنين وكافيهم وحاميهم.

رابعاً- ابتلاء عيسىعليه السلام مع بني إسرائيل، ومحاولة قتله:

عيسى عليه السلام روح الله وكلمته التي ألقاها إلى مريم، بعث الله عز وجل عيسى عليه السلام نبيا إلى بني إسرائيل ليخرجهم من الظلمات إلى النور وليعيدهم إلى طريق الصواب، ابتلي رسول الله عيسى عليه السلام بقوم مجادلين، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدۡ جِئۡتُكُم بِٱلۡحِكۡمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي تَخۡتَلِفُونَ فِيهِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ٦٣ ﴾[1]، يقول البغوي في تفسيره:"{ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدۡ جِئۡتُكُم بِٱلۡحِكۡمَةِ } بالنبوة، { وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي تَخۡتَلِفُونَ فِيهِۖ } من أحكام التوراة... يعني اختلاف الفرق الذين تحزبوا على أمر عيسى، قيل: الذي جاء به عيسى في الإنجيل إنما هو بعض الذي اختلفوا فيه، وَبَيَّن لهم في غير الإنجيل ما احتاجوا إليه. { فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ }"[2]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴾[3]، فالنبي عيسىعليه السلام يقف هنا أمام تكذيب قومه له، واتهامهم إياه بالسحر، اخبرنا الله عز وجل عن عناد بني إسرائيل المتقدمين وما هم عليهم من تكذيب لله وتحريف للكتب وقتل للأنبياء، وعناد لله ورسله مما يحتاج إلى التعامل معهم في دعوتهم بما هم

---

[1] سورة الزخرف: الآية 163.

[2] انظر, البغوي, **معالم التنزيل**, ج7/ص220.

[3] سورة الصف : الآية 6.

أهله، الذين دعاهم عيسى ابن مريم(عليه السلام)، "وقال لهم: أرسلني الله لأدعوكم إلى الخير وأنهاكم عن الشر، وأيدني بالبراهين الظاهرة، ومما يدل على صدقي، وجئت بما جاء به موسى من التوراة والشرائع السماوية، ولو كنت مدعيا للنبوة، لجئت بغير ما جاءت به المرسلون، ومصدقا لما بين يدي من التوراة أيضا، أنها أخبرت بي وبشرت، فجئت وبعثت مصداقا لها ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد، وهو: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب النبي الهاشمي"[1]، ولقد أكرمه الله سبحانه ورفعه، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾[2]، "جعل الله عيسى(عليه السلام) كمثل آدم خلقه من تراب، ثم قال له كن فيكون، وهو عبد الله ورسوله، من كلمة الله وروحه"[3]، فنجى الله عز وجل عيسى (عليه السلام) وأمه من هذا البلاء المبين.

ابتلي عيسى (عليه السلام) بمقارعة رجال الدين من بني إسرائيل، فجادلهم وحاورهم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّىٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡىِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمۡ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[4]، "حين بلّغهم عيسى (عليه السلام) الرسالة واختلفوا –فمنهم مَن صدّقه ومنهم مَن كذّبه وهم الأكثرون– علم أن النبوة لا تنفك عن البلاء وتسليط الأعداء، فقطع عنهم قلبه، وصدق إلى الله قصده، وقال لقومه: مَن أنصاري إلى الله ليساعدونني على التجرد لحقّه والخلوص في قصده؟ فقال من انبسطت عليهم آثار العناية، واستخلصوا بآثار التخصيص: نحن أنصار الله، آمنا بالله،

---

[1] السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص859.

[2] سورة مريم : الآية 49.

[3] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج10/ ص470.

[4] سورة آل عمران : الآيات 49-52.

واشهد علينا بالصدق، وليس يشكل عليك شيء مما نحن فيه، وأما الباقون فجدّوا في الشقاق، وبالغوا في العداوة، ودسّوا له المكائد، ومكروا ولكن أذاقهم الله وبال مكرهم، فتوهموا أنهم صلبوا عيسى عليه السلام وقتلوه، وذلك جهل منهم، ولبس عليهم، فالله سبحانه رفع عيسى عليه السلام نبيّه ووليّه، وحقّ الطرد واللّعن على أعدائه، وهذا مكره بهم"[1].

وكان من أعظم الابتلاءات، تعرض عيسى عليه السلام لابتلاء القتل عنما تآمر عليه اليهود، وقد نجاه الله سبحانه وتعالى منهم ورد كيدهم في نحورهم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾[2]،فرفعه إليه حياً ببدنه وروحه، ويدل على ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ﴾[3]، إن ما دبره اليهود من القتل والصلب وقع على شبيه له، كما في قوله سبحانه وتعالى:﴿ وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ﴾[4]، لقد سلّم الله نبيه عيسى عليه السلام من كيد الأشرار المجرمين،الذين عاثوا في الأرض فساداً وخراباً، ولكنها معية الله التي تحف الأنبياء بكرامات خاصة تحفظهم من كل سوء.

ووقع بنو إسرائيل من بعد عيسى عليه السلام بفتنة جديدة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ

---

[1] القشيري، **لطائف الإشارات**، ج1/ ص245.

[2] سورة آل عمران: الآية 54.

[3] سورة آل عمران : الآية55.

[4] سورة النساء: الآيتين 157- 158.

بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾ [1]، وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن بعض ما فَتَن به الإسرائيليين الذين أخبر عنهم أنهم حسبوا أن لا تكون فتنة،" فكان مما ابتليتهم واختبرتهم به، فنقضوا فيه ميثاقي، وغيَّروا عهدي الذي كنت أخذته عليهم بأن لا يعبدوا سواي، ولا يتخذوا ربًّا غيري، وأن يوحِّدوني، وينتهوا إلى طاعتي ...، فإني خلقته، وأجريت على يده نحوَ الذي أجريت على يد كثير من رسلي، فقالوا كفرًا منهم: (هو الله)"[2].

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ٣٤ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٣٥﴾[3]، "أي ذلك الذي فصّلت نبوّته، وذكرت مناقبه وأوصافه، هو عيسى بن مريم، نقول ذلك قول الصدق الذي لا ريب فيه، لا كما يقول اليهود من أنه ساحر وحاشاه، ولا كما تقول طائفة من النصارى إنه ابن الله، ولا كما تزعم طائفة أخرى أنه هو الله، ويخلعون عليه من صفات الألوهية ما هو منه براء" [4].

لقد نزلت الابتلاءات على رسل الله؛ ليختبرهم في تأدية واجباتهم، وتوصيل رسائل الله عز وجل إلى البشرية، من أجل هدايتهم إلى طريق الحق والرشاد، ولقد تنوعت المحن والابتلاءات التي تعرض لها أنبياء الله ورسله، فكرامة الله تتجلى في مكانة الابتلاء المنزل على قوم من الأقوام؛ ليمحِصَ الخبيث من الطيب والمؤمن من الكافر.

---

[1] سورة المائدة : الآية 72.

[2] الطبري, **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج10/ ص480.

[3] سورة مريم : الآيات 34- 36.

[4] المراغي، **تفسير القرآن**، ج16/ ص50.

إنّ المنهجية الربانية في سنن الابتلاءات والمحن تبرهن على عِظم مكانة العقيدة في قلب الإنسان المؤمن التي لا تغيرها أحوال الدنيا وتقلبات الدهر، فكلما كان البلاء عظيماً كان الأجر والثواب القادم أعظم، سواء ظهر في الحياة الدنيوية أم الأخروية.

المبحث الثاني : ابتلاءات خاتم النبيين محمد ﷺ في القرآن الكريم، وفيه اربعة مطالب، وهي :

المطلب الأول: الابتلاء باليتم

المطلب الثاني: الابتلاء بالفقر

المطلب الثالث: الابتلاء بفقد الولد

المطلب الرابع: الابتلاء في سبيل الدعوة

المطلب الأول:

ابتلاءات خاتم النبيّن محمد ﷺ في القرآن:

بعد أنّ علمنا أّن الابتلاء ضرورةٌ حَتميةٌ يُكشف من خلِالها عن قلوب العباد صالحهم من سيئهم، والمُؤمن من غيرِ المؤمن، وكلّما ارتفعت منزلةُ الإنسان عندَ اللهِ تعالى ازداد ابتلاؤه؛ لِذلك كان لابد من تنوع أشكال الابتلاء وتغيره، فالعبد لا يعلم أي نوع من الابتلاء سوف يصيبه ولا شكل هذا الابتلاء، فالتنوع في البلاء نتيجة طبيعية لتنوع الناس، واختلاف درجات إيمانهم ومنزلتهم، لذلك فإنّ الأنبياء والرّسل – عليهم السّلام – وحين سُئل مَن هُمْ أكثر النّاس ابتلاءً، فما يُحفز البعض قد لا يُحفز الآخرين، هذا عدا عن اختلافِ درجات إيمان الأفراد أساساً، وفيما يلي بيانٌ لأنواع الابتلاءات التي أصابت خاتم النبيين والمرسلين ﷺ قبل التبليغ وبعده، هذه الابتلاءات تحدثت عنها الآيات الكريمة في القرآن الكريم.

الابتلاءات التي أصابت الرسول ﷺ قبل التبليغ:

إنّ الباحث في سيرة الرسول ﷺ يجد البلاء والمحن مرافقه له في كل مراحل حياته، في الصغر والشباب والكبر، وبكل صنوفها وأشكالها في نفسه، ومن حوله، وحتى أقرب الناس إليه، إنّ ما أصاب الرسول ﷺ من بلاء قبل حمل الرسالة ما هو إلا إعداد للنبي الأعظم ﷺ ليبلغَ الرسالة، ويؤديَ الأمانة العظيمة، التي هي دعوة الناس كافة إلى توحيد الله عز وجل، وإن هذه المهمة الجليلة لا بد من إعداد مبلّغها أيما إعداد، إعداداً فكرياً ونفسياً وجسدياً ليكونَ القائد العظيم الذي يقود هذه الأمة ويُقتدى به، ويُعلَم الناس ويرشدهم، الى طريق الحقّ المبين، فكان لابد من الشدائد والابتلاءات في حياته ﷺ لتصنع منه القوةَ والصبرَ والتحملَ، فكانت حياتهﷺ بعيدةَ كل البعد عن حياة الرفاهية والترف، بل كانت محملةُ بالصعاب من أول يوم وُلد فيه.

سبحانه القائل في سورة الضحى، واصفاً حال النبي ﷺ قبل النّبوة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾.[1]

وقوله سبحانه:﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾، "أي ألم يجدك يا محمد ربك يتيمًا فآوى، يقول: فجعل لك مأوى تأوي إليه، ومنزلا تنزله﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ ووجدك على غير الذي أنت عليه اليوم، "﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾ قال: كان على أمر قومه أربعين عاما. وقيل: عُنِيَ بذلك: ووجدك في قوم ضلال فهداك"[2].

وعند النّظر في سيرته ﷺ فإنه يمكن لنا أن نصفَ الابتلاءات التي مرّ بها كما يلي:

أولاً: الابتلاء باليتم: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾

يقول الله تعالى في سورة الضّحى: **﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾** جاء في تفسير السعدي: أي: "وجدك لا أمّ لك، ولا أب، بل قد مات أبوه وأمّه وهو لا يدبرّ نفسه، فآواه الله، وكَفله جدّه عبد المطلب، ثم لما مات جده كفله الله عمّه أبا طالب، حتى أيده بنصره وبالمؤمنين"[3]، ويقول ابن كثير في تفسيره للآية السابقة : "وذلك أن أباه تُوفّي وهو حَملٌ في بطن أمه، وقيل: بعد أن وُلد ﷺ ثم توفيت أمه آمنة بنت وهب وله من العمر ست سنين، ثم كان في كفالة جده عبد المطلب، إلى أن توفي وله من العمر ثمان سنين، فكفله عمه أبو طالب"[4].

وقد ابتُلي رسولنا الكريم عليه أفضل صلاة وأتم تسليم باليُتم، وما أشدّه من بلاء يقع على العبد! فقد كانت الابتلاءات مرافقه له منذ أن وُلد؛ ليربيهُ الله ويصنَعه على عينه، فكان الله له الهادي لطريق الحقّ المتكرّم عليه بالهداية والدعوة لهديهِ ولدينه الحنيف، فليس من قبيل

---

[1] سورة الضحى : الآيات 6-8.

[2] الطبري, **جامع البيان عن تأويل آي القرآن,** ج24/ ص478-488.

[3] ـ السعدي, **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** , ص928.

[4] – ابن كثير , **تفسير القرآن العظيم**, ج8/ ص426.

المصادفة والعبث أن يُولد ﷺ يتيما، بل لقد اختار الله لرسوله، هذا الابتلاء لحكم باهرة عظيمة، منها :

1. حتى لا يظنّ ظانّ أنّ دعوته ﷺ انتشرت واستقرت بفضل عشيرته وأهله.
2. وحتى لا يقال: إنّ أباه ﷺ وجده وعمه نصروه، وتعصبوا له، وانتشر الإسلام بدعمهم.
3. وحتى لا يقال: إنّ النّاس قد آمنت به ﷺ بفضل جاهه وغناه وملكه، بل كان فقيراً يتيماً.
4. لكي لا يدّعيَ البعض أنّ محمداً ﷺ تلقّى الدّعوة وتعلمها من أبيه أو جدّه.
5. وحتّى يكون خير قدوة للناس كافة وللمسلمين خاصة، ولكل متكاسل متقاعس يتحجج بحاله ويجعل له حجّه لنفسه وأنّه لا حول له ولا قوة في المضي بالحياة والعمل والنجاح والدعوة إلى الله.
6. ليكون لنا درساً وعبرة، كلما ضاقت بنا ضائقة أو شكونا أو تأففنا من حالنا بل، ان علينا أن نشكرَ، ونصبرَ، ونطمحَ أن نكون عباداً مؤثرين قادريّن أقوياء، متمسّكين بدعوته رغم كل الصعاب.

وذكر صاحب كتاب "فقه السيرة النبوية": "لقد اختار الله- عز وجل- لنبيه هذه النشأة لحِكم باهرة لعلّ، من أهمها أن لا يكون للمبطلين سبيل إلى إدخال الرِيبة في القلوب أو إيهام الناس بأنّ محمّدًا ﷺ إنما رَضع لبان دعوته ورسالته التي نادى بها منذ صباه، بإرشاد وتوجيه من أبيه وجده... وهكذا أرادت حكمة الله أن ينشأ رسوله يتيماً، تتولاه عناية الله وحدها بعيدا عن الذراع التي تمعن في تدليله والمال الذي يزيد في تنعيمه"[1].

[1] البوطي, محّمد سَعيد رَمضان البوطي, **فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة**, ج1/ ص 45-46, دار الفكر – دمشق, الطبعة الخامسة والعشرون – 1426 هـ.

ثانياً: الابتلاء بالفقر: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغۡنَىٰ﴾

﴿ عَآئِلًا﴾"أي فقيراً...عديماً يقال : عال يَعيل عيلاً وعيلة افتقر"[1]

وقرأ الجمهور: "عَائِلاً، أي فقيراً"[2]، وقال الالوسي في تفسيره :" أي وجدك عديم المقتنيات فأغناك بما حصل لك من ربح التجارة، وذلك في سفره ﷺ مع ميسرة إلى الشام وبما وهبته لك خديجة رضي الله تعالى عنها من المال..."[3]، و الرسول ﷺ صبرَ إذ امتُحنَ بالفقر، فعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ : "دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ: هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ ؟ فَقُلْنَا: لَا، قَالَ: فَإِنِّي إِذَنْ صَائِمٌ"[4].

إنّ الابتلاء لا يكون في النفس فحسب، بل في المال والصحة وغيرهما، ومعلوم أن الفقر ابتلاء ومشقه؛ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ﴾[5] ، وقال الرسول ﷺ: "ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة"[6]، وابتُلي رسول الله ﷺ بالفقر ، فلم يعرف يوماً حياة الثّراء والرّفاهية، بل حياة الكدّ والعمل، فعاش الفقر في كل مراحل حياته:

---

[1]الخلتوتي, إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي, **تفسير روح البيان**, ج10/ ص353, دار إحياء التراث العربى.

[2]الفيروزآبادى, **البحر المحيط**, ج8/ ص482.

[3]الألوسي, **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**, ج23/ ص13.

[4]اخرجه مسلم, **صحيح مسلم**, الصيام, باب جواز صوم النافلة بنية من النهار قبل الزوال وجواز فطر الصائم نفلا من غير عذر , حديث رقم: 2770,(3/158).

[5]سورة البقرة :الآية 155.

[6] سبق تخريجه ص20.

أولا: الفقر منذ الصغر

عاش الرسول الكريم ﷺ طفولة قاسيةً وحياةً فقيرةً؛ فقد عمل منذ بلغ الثامنة حتى الخامسة عشرة من عمره في رعي الأغنام؛ طلباً للرزق، وليكون قادراً عن الاستغناء عما في أيدي الناس وعدم الاعتماد عليهم، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :" مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ . فَقَالَ أَصْحَابُهُ : وَأَنْتَ ، فَقَالَ : نَعَمْ ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ"[1] .

ثانياً: الفقر في شبابه

فقد عاش شبابه ﷺ فقيراً معدماً، كما طفولته ما يجد الطعام في بيته، ولا تُوقد النار في بيته شهرين متتاليين، "عن عائشة أنها قالت: إن كنا لننظر إلى الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقدت في أبيات رسول الله ﷺ نار فقلت ما كان يعيشكم ؟ قالت الأسودان التمر والماء إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار كان لهم منائح وكانوا يمنحون رسول الله ﷺ من أبياتهم فيسقيناه"[2]، وفي حديث انس رضي الله عنه "قال: ما أكل النبي ﷺ خبزاً مرققاً، ولا شاة مسموطة حتى لقي الله"[3]، قال الحافظ بن حجر في الفتح:" ما أكل النبي ﷺ خبزاً مرققاً: وأكل المرقق إنما هو لدفع طيبات الدنيا اختيارا لطيبات الحياة الدائمة. ولا شاة مسموطة: المسموط الذي ازيل شعره بالماء المسخن وشوى بجلده أو يطبخ وإنما يصنع ذلك في الصغير السن الطري وهو من فعل المترفين "[4]، وكانت تمر الأيام على أبيات رسول الله

---

[1]اخرجه البخاري, **صحيح البخاري**, كتاب الإجارة ، باب رعي الغنم على قراريط, حديث رقم: 2262 (3/88).

[2]اخرجه البخاري, **صحيح البخاري**, كتاب الرقائق ، باب كيف كان عيش النبي صلى الله عليه و سلم وأصحابه وتخليهم من الدنيا, حديث رقم: 6094 (5/ 2372).

[3]اخرجه البخاري, **صحيح البخاري**, كتاب الأطعمة ، باب الخبز المرقق والأكل على الخوان والسفرة, حديث رقم: 5070 (5/ 2059).

[4]ابن حجر, أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي, فتح **الباري شرح صحيح البخاري**, ج11/ص 280, دار المعرفة – بيروت ، 1379.

الله ﷺ ولا يجدون ما يأكلونه، لا تمراً ولا شعيراً إلا الماء، ولم يقف الحال في فقره عند هذا الحد، بل تجاوزه إلى شكوى نسائه من الفقر، ومراجعتهن له حتى اقتضى ذلك أن ينزل الحكم من السماء بتخييرهن بين العيش معه أوالرضا بالفقر، أو الفراق، فما كان منهن إلا اختيار النبي ﷺ وقد سجّل القرآن ذلك، وفي هذا قَالَتَعَالَىٰ:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٢٩﴾[1]، كان بيتُه ﷺ صغيراً مُتواضعاً، تقولُ عَائِشَة رضي الله عنها:"كُنْتُ أَنَامُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَرِجْلاَيَ فِي قِبْلَتِهِ، فَإِذَا سَجَدَ غَمَزَنِي، فَقَبَضْتُ رِجْلَيَّ، فَإِذَا قَامَ بَسَطْتُهُمَا"[2].

أما عن فراشه ومنامه، فكان لا ينام على الفرش اللينة، بل إنه ينام على فراشٍ يتأثر منها جنبُه، "دَخَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ عَلَى حَصِيرٍ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، لَوِ اتَّخَذْتَ فِرَاشًا أَوْثَرَ مِنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : يَا عُمَرُ ، مَا لِي وَلِلدُّنْيَا ، وَمَا لِلدُّنْيَا وَلِي ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مَثَّلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ سَارَ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ ، فَاسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا" [3].

ثالثاً: الفقر حتى وفاته

يكفينا أن نعلم أنّه ﷺ قد مات ودِرعه مرهونة عند يهودي في شيء من شعير، ولا شكّ أنّ معظم الأنبياء كانوا فقراء، ومنهم مَن رعى الغنم، وإنّ هذا ليس عيباً في حقهم، فالفقر لا

---

[1] سورة الاحزاب : الآيات 28–29.

[2] اخرجه البخاري, **صحيح البخاري**, كتاب الصلاة , باب الصلاة على الفراش, حديث رقم : 375 (150 /1).

[3] ابن حبان في "صحيحه" (14 / 265) برقم: (6352) (كتاب التاريخ ، ذكر ما مثل المصطفى صلى الله عليه وسلم نفسه والدنيا بمثل ما مثل به).(ابن حبان, محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي, **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**, مؤسسة الرسالة – بيروت, الطبعة الثانية ، 1414 – 1993, تحقيق : شعيب الأرنؤوط)

يعيب، والعمل لا يعيب، بل إنّه يُربي ويُؤدب ويُختبَر به المرء وما أشده من اختبار! فالمرء عند الحاجة قد يكون عُرضةً لأن يسعى، إما للكسب الحلال والجد والعمل، أو لمد يده للغير، أو يأتي بالمال بطريقة لا تُرضي الله، فيعلمنا الله أنّ المال رزق، وكلٌّ له رزقه، فلا يأتي به من حرام، وليسألِ الله من رزقه ويعمل، فحتى الطّير تسعى لتكسب رزقها، فكيف ببني البشر!

فكان ﷺ خيرَ قدوة ومعلم للناس كافة، فلو طلب الدنيا وما فيها، لكان له ما أراد، ولكنه اختار الفقر على الغنى.

وما ذلك إلا ليكون لنا قدوة، ويعلمنا مما تعلم حكما كثيرة ، منها:

1- الابتلاء بالفقر للنبي محمد ﷺ عبرة وعظة للفقراء من المؤمنين أن سيدهم محمد ﷺ قد ذاق الفقر الشديد وعاشه من طفولته الى مماته.

2- وحث الفقراء على الصبر، والاقتداء بحبيبهم النبي الاعظم ﷺ في صبره وعدم التعلّق بالدنيا ومتاعها.

3- أنه قدوةٌ ودافعٌ للفقراء لمزيد من احتمال الفقر وشدته، والتّحمل لبلائه، وليكونوا كما أراد لهم أن يصبروا ويزدادوا ايمانا وعلى ربهم يتوكلون.

4-وأن يكتبَ لهم عظيم الأجر على ما صبروا على الفقر والقلّة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾[1].

[1] سورة الزمر : الآية 10.

ثالثاً: الابتلاء بفقد الولد

إنّ من عظيم البلاء الذي يُدمي القلب، ويفطر الفؤاد الذي يمر به الإنسان على الإطلاق أن يفقد فيه فلذة كبده، وقرة عينه، وثمرة قلبه؛ فيورث في القلب الحزن، وفي النّفس الأسى والكآبة؛ لهذا كان ثواب الصّبر على فقدهم عظيما، وأجره في الميزان ثقيلا، "سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : بَخٍ بَخٍ وَأَشَارَ بِيَدِهِ بِخَمْسٍ مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ : سُبْحَانَ اللهِ ، وَالْحَمْدُ لِلهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَاللهُ أَكْبَرُ ، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّى لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فَيَحْتَسِبُهُ "[1].

من المعلوم في كتب السيرة أن النبي ﷺ قد رُزق سبعةً من الأولاد، أربع بنات، وثلاثة من البنين الذّين كانوا جميعهم من السّيدة خديجة- رضي الله عنها- ما عدا إبراهيم؛ فأمّه مارية القبطية. وتُوفي جميعهم في حياته، وقبل وفاتِه ﷺ ما عدا ابنته فاطمة- رضي الله عنها- التي توفيت بعده، **قَالَ تَعَالَىٰ**:﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾،[2] وخاتم النبيين : "أي لم يجيء نبي بعده، إذ لو جاء نبي بعده لكان ولده أهلا للنبوة كما كان أولاد إبراهيم ويعقوب، وداود مثلا "[3].

وقال ابن عاشور في تفسيره :"والمقصود : نفي أن يكون أبا لأحد من الرجال في حين نزول الآية لأنه كان ولد له أولاد أو ولدان بمكة من خديجة وهم الطيب والطاهر (أو هما اسمان لواحد) والقاسم ، وولد له إبراهيم بالمدينة من مارية القبطية ، وكلهم ماتوا صبيانا ولم يكن منهم موجود حين نزول الآية "[4].

---

[1] اخرجه ابن حبان, **صحيح ابن حبان**, كتاب الرقائق ، ذكر استحباب الإكثار للمرء من التسبيح والتحميد والتمجيد والتهليل والتكبير لله جل وعلا, حديث رقم: 833(3 / 114).

[2] سورة الاحزاب : الآية 40.

[3] أبو بكر الجزائري, **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**, ج4/ ص272.

[4] ابن عاشور, **التحرير والتنوير**, ج22/ ص43-44.

إنّ الابتلاء بفقد الولد كان من الابتلاءات الشديدة التي أصابت الرسول ﷺ وما أشدّه من ابتلاء أن يفقد أبٌ أولاده في حياته، ويصبر على مرارة الفقد والفراق، ولاسيما أنّ جميع أبنائه الذكور ماتوا وهم صغار. فقد جاء "أن أولاده كلهم ولدوا قبل الإسلام وهلك البنون قبل الإسلام وهم يرضعون، وقيل مات القاسم وهو ابن سنتين، وقيل بلغ أن يركب الدابة ويسير على (النجيبة)[1]"[2]. وقد كان ﷺ نموذجا للأب القدوة في الصبر على فقد الولد، الراضي بقضاء الله، المسلّم بقدره.

أمّا عن ذكر أولاده ﷺفكان "أولهم القاسم، وبه كان يُكنى، مات طفلاً، وقيل: عاش إلى أن ركب الدابة، وسار على النجيبة، ثم زينب، وقيل: هي أسن من القاسم، ثم رُقَيَّة، وأم كلثوم، وفاطمة، وقد قيل في كل واحدة منهن: إنها أسنُّ من أختها، وقد ذُكِرَ عن ابن عباس أن رقيّة أسن الثّلاث، وأم كلثوم أصغرُهن.

ثم ولد له عبد الله، وهل ولد بعد النّبوة، أو قبلها؟ فيه اختلاف، وصحح بعضهم أنه ولد بعد النّبوة، وهل هو الطيب والطاهر، أو هما غيرُه؟ على قولين. والصحيح: أنّهما لقبان له، والله أعلم. وهؤلاء كلهم من خديجة، ولم يُولد له من زوج غيرها، ثم ولد له إبراهيم بالمدينة من سُرِّيَّتِهِ "مارية القبطية" سنة ثمان من الهجرة، وبشَّره به أبو رافع مولاه، فوهب له عبداً، ومات طفلاً قبل الفطام"[3].

قال ابن كثير: "لا خلاف أن جميع أولاده من خديجة بنت خويلد. سوى إبراهيم، فمن مارية بنت شمعون القبطية"[4]، وقال ابن القيم :"وكل أولاده توفي قبلَه إلا فاطمة، فإنها تأخرت

---

[1] النجيبه :هي الناقة النجيبة المطبوعة على العمل, **الصحاح في اللغة** ، ج1/ص 497.

[2] الطبري, محب الدين أبي جعفر بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر الطبري, **خلاصة سير سيد البشر**, ص 136, مكتبة نزار مصطفى البازسنة مكة المكرمة – السعودية 1418هـ – 1997م.

[3] ابن قيم, **زاد المعاد ، ج1/** ص104.

[4] ابن كثير ,**البداية والنهاية** ، ج5/ ص306 – 307.

بعده بستة أشهر فرفع الله لها بصبرها واحتسابها من الدرجات ما فُضِّلَتْ به على نساء العالمين"[1].

و أما الحكمة من الابتلاء بفقد الولد، فهي:

1. لنعلم أنه لا عبث في اختيار نوع الابتلاء وأجره فهناك اجر عظيم وبشرى جميلة وعطاء خاص لمن صبر على فقد ولده بأن يكون له بيت خاص باسمه في الجنة، يكون شامة وعلامة عليه هو بيت الحمد، قال رسول الله ﷺ: "إذا مات ولد العبد، قال الله تعالى لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم. فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم. فيقول: ما قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع. فيقول الله. ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة، وسموه بيت الحمد"[2]، وابتلاء النبي ﷺ وبخاصة فقد الأبناء فيه عزاء وسلوى للذين لم يرزقوا بالبنين أو يرزقون ثم يموتون.
2. ثمّةَ حكمة بالغة أيضا من موت جميع أبناء الرسول ﷺ في حياته، إذ إنه لم يعش له احدٌ من الذكور، وماتوا اطفالاً حتى لا يكون مدعاة لأن يفتتنَ بعض الناس بهم ولدعائهم لهم بالنبوة، ويظنوا أن النبوة سيرثُها احدٌ من أبنائه، كما كانت تُورث في بنى إسرائيل.
3. وليكون مثلاً لمَن بعده أن أحب الخلق إلى الله، ابتلاه بفقد أبنائه ﷺ ، فصبر حتى لا يقنطَ مؤمنٌ عند هذا البلاء الشديد ويكفر، ويعترض على حكم الله، ويتخذ الرسول ﷺ بصبره وتسليمه نموذجاً صادقاً يُقتدى به.

---

[1] ابن القيم, **زاد المعاد**, ج1/ ص104.

[2] اخرجه الترمذي, **سنن الترمذي**, الجنائز, باب فضل المصيبة إذا احتسب, حديث رقم: 1021(341 /3), قال الشيخ الألباني : حسن.

رابعاً: الابتلاء في سبيل الدعوة

اقتضت حكمة الله أن يبتلي أنبياءه في طريق دعوتهم، ولم يدعُ نبيّ قومه قط إلا لقيَ منهم أشد العذاب والمعاداة، ولم يلقَ أي نبي طريقاً محفوفاً بالورود في دعوته، بل لقي طريقا معبدا بالأشواك والصعاب والآلالم، ولأنه النبي القائد القدوة خاتم النبيين ﷺ حامل الدعوة وناصرها، كان لابد أن يكون له النصيب الأكبر من الابتلاءات، ليكون لمن بعده من المؤمنين قدوة في كل صورة من صور الابتلاء، يقول تعالى مخاطباً نبيه محمداً ﷺ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴿٣٥﴾ ﴾[1]، "يقول تعالى مثبتاً نبيه محمدا ﷺ على المضيّ لما قلَّده من عبْء الرسالة، وثقل أحمال النبوّة ﷺ ، وأمره بالائتساء في العزم على النفوذ لذلك بأولي العزم من قبله من رسله الذين صبروا على عظيم ما لَقُوا فيه من قومهم من المكاره، ونالهم فيه منهم من الأذى والشدائد (فَٱصۡبِرۡ) يا محمد على ما أصابك في الله من أذى مكذّبيك من قومك"[2].

كان طريق دعوة الرسول ﷺ محفوفاً بالمصاعب والشدائد والتضحيات، بعد أن كان يتعبد في غار حراء في السر، وجاءه الوحي، وبدأت رحلة في الدعوة إلى الله وحده، بدأ معها الابتلاء في هذا الطريق.

وفي طريق دعوته قد لاقى النبي ﷺ من قومه التكذيبَ والعنادَ والقتالَ والتهجيرَ والسجنَ والطردَ والاستهزاءَ، وكان لابدّ أن يكون الصبر الصفةَ الملازمةَ لنبينا ﷺ في طريق دعوته، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴿١٠﴾ ﴾[3]، و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ

---

[1] سورة الأحقاف : الآية 35.

[2] انظر: الطبري, **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**, ج22/ ص 145.

[3] سورة المزمل : الآية 10 .

جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[1]، و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾[2]، وغيرها من الآيات التي يثبّتُ الله بها فؤاد النبي ﷺ ويحثه على الصبر على الابتلاءات التي يمر بها ﷺ ، ومن صور الابتلاءات التي مر بها الرسول ﷺ في طريق دعوته :

- **الإيذاء والاستهزاء والإعراض والسخرية والاتهامات:**

لقي نبي الرحمة ﷺ أشكالاً وألواناً من الأذى من قريش، مما يثير الدمع في عيوننا، والحزن في فؤادنا إذا عرفنا عنه ﷺ من تحمله وتألمه وصبره على ما لقيَ من قومه، فحتى وهو ساجد يتعبد لربه ما سَلم من أذاهم، " بينما رسول الله ﷺ يصلي عند الكعبة وجمع من قريش في مجالسهم، فقالوا: أيكم يقوم إلى جزور بني فلان، فيأتي بسلاها فيضعه بين كتفيه إذا سجد، فانبعث أشقى القوم فجاء به فوضعه بين كتفيه، وثبت النبي ﷺ ساجدا وضحكوا حتى مال بعضهم على بعض من الضحك، فانطلق منطلق إلى فاطمة وهي جويرية فأقبلت تسعى حتى ألقته عنه، وأقبلت عليهم تسبهم ... فلقد رأيتهم صرعى يوم بدر "[3].

فلقي الرسول الاعظم ﷺ ما لقي من الايذاء الجسدي واللفظي من كفار قريش، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[4]، " من كلمات الشرك والاستهزاء ، وتحلية الجملة بالتأكيد لإفادة تحقق ما تتضمنه من التسلية، وصيغة المضارع لإفادة استمرار العلم حسب استمرار متعلقه باستمرار ما يوجبه من أقوال الكفرة "[5]، "لما مات أبو طالب عرض لرسول الله ﷺ

---

[1] سورة الأنعام : الآية 34 .

[2] سورة الروم : الآية 60 .

[3] السيوطي, أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي, **الخصائص الكبرى**, ج1/ ص 348, دار الكتب العلمية – بيروت – 1405هـ – 1985م.

[4] سورة الحجر : الآية 97.

[5] الألوسي, شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ), **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**, ج328/7, دار الكتب العلمية – بيروت, الطبعة الأولى، 1415 هـ, تحقق : علي عبد الباري عطية.

سفيه من سفهاء قريش فألقى عليه ترابا فرجع إلى بيته فأتت امرأة من بناته تمسح عن وجهه التراب و هي تبكي فجعل يقول : (أي بنية لا تبكي فإن الله مانع أباك)، و يقول ما بين ذلك : (ما نالت قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب ثم شرعوا) "[1] .

قد لقي الرسول ﷺ من الاستهزاء به واتهامه والسخرية منه ما لقي، فتحمل وصبر على أمرٍ عظيمٍ، وقد كانوا يتفننون في أساليب الاستهزاء والتهكم، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [2].

ابتلي الرسول الكريم ﷺ باشكال عديدة من الابتلاءات من القوم الكافرين، فكان الله يدعوه دوماً إلى الصبر على كل هذا وأن الله كافيه، يقول الله تعالى مخاطبا نبيه ﷺ: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾[3]، "أي: فاجهر- أيها الرسول الكريم- بدعوتك، وبلغ ما أمرناك بتبليغه علانية، وأعرض عن سفاهات المشركين وسوء أدبهم، فقال أبو جهل يوما وهو يهزأ برسول الله ﷺ وما جاء به من الحق: يا معشر قريش، يزعم محمد أنما جنود الله الذين يعذبونكم في النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر، وأنتم أكثر الناس عددا، وكثرة أفيعجز كل مئة رجل منكم عن رجل منهم ؟ فأنزل الله تعالى عليه في ذلك قوله: ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ...﴾ إلى آخر القصة"[4].

فبعد أن كان الصادق الأمين بين قومه، أصبحوا بعد أن أعلن دعوته يلقبونه بأسوأ الألقاب ويستهزئون به، " ثم إن قريشاً اشتد أمرهم للشقاء الذي أصابهم في عداوة رسول الله ﷺ

---

[1] ابن كثير, **سيرة ابن كثير**, ج2/ص 146.

[2] سورة الأنفال : الآيتين 32-33.

[3] سورة الحجر : الآيات 94-95.

[4] ابن هشام, **سيرة ابن هشام**, ج1/ ص 313.

ومن أسلم معه منهم ، فأغروا برسول الله ﷺ سفهاءهم ، فكذبوه وآذوه ، ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون ، ورسول الله ﷺ مظهر لأمر الله لا يستخفي به ، مبادلهم بما يكرهون من عيب دينهم ، واعتزال أوثانهم ، وفراقه إياهم على كفرهم"[1].

وقد اتهموا النبي محمداً ﷺ بالكثير من التهم، فقد اتهموه بأقبح التهم واسوأها، بأن القرآن الكريم ليس من عند الله وأنه اختلقه من عنده، ومن الآيات الدالة على هذا، قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾[2]، واتهموه بالجنون، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾﴾[3]، وقالوا إنّه يأتي بالباطل والأساطير، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ ﴾ [4]، واتّهموه ومن تبعه من المؤمنين بأنّهم ضالون، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[5]، واتهموه بالسحر، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ ﴾[6]، واتهموه بالكذب، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ ﴾[7].

- **الإغراء والمساومة :**

---

[1] الكلاعي, أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي, **الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء**, ج1/ص 169الطبعة الأولى دار النشر عالم الكتب – بيروت – 1417هـ. تحقيق : محمد كمال الدين عز الدين علي.

[2] سورة النحل : الآية103.

[3] سورة الحجر : الآية 6.

[4] سورة الفرقان : الآية5.

[5] سورة المطففين : الآية32.

[6] سورة ص : الآية4.

[7] سورة الفرقان : الآية4 .

عرض المشركون على النبي ﷺ وسائل الاغراء كافةً: من السلطة والعشيرة والنسب والمال و السيادة، وكل ما أراد مقابل الرجوع عن دعوته؛ فهذه مساومة لإغراء النبي ﷺ ليعودَ عن أمر دعوته، فقد جاء في سيرته ﷺ "فقام إليه عتبة حين جلس إلى رسول ﷺ، فقال: يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من السلطة في العشيرة والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني، أعرض عليك أمورًا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها، فقال له رسول الله ﷺ: قل يا أبا الوليد .. اسمع، قال: يا ابن أخي إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالًا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالًا، وإن كنت تريد به شرفًا سودناك علينا، حتى لا نقطع أمرًا دونك، وإن كنت تريد به ملكًا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيًا تراه لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه، أو كما قال له، حتى إذا فرغ عتبة، ورسول الله ﷺيستمع منه قال: لقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم، قال: فاسمع مني، قال عتبة: افعل، فقال ﷺ :﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥﴾ "[1].[2] ثم مضى رسول الله ﷺ فيها، يقرأها عليه، فلما سمعها منه عتبة أنصت له، وألقى يديه خلف ظهره معتمدًا عليهما، يسمع منه، ثم انتهي رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد ثم

[1] سورة فصلت : الآيات ١ – ٥.

[2] أبو عمر، محمد بن حمد الصوياني , **السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة(قراءة جديدة)**, ج1/ ص 111, مكتبة العبيكان, الطبعة الأولى، 1424 هـ – 2004 م.

قال : (قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك)"[1]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ٩ ﴾ [2] ، " لو تكفر فيكفرون "[3].

ونزلت (سورة الكافرون) رداً لمن يساوم الرسول ﷺ في دينه، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢ ﴾[4]، " نزلت رداً على اقتراح تقدم به بعض المشركين... مفاده أن يعبد النبي ﷺ معهم آلهتهم سنةً، ويعبدون معه إلهه سنةً، مصالحةً بينهم وبينه وإنهاءً للخصومات في نظرهم، ولم يجبهم الرسول ﷺ بشيء حتى نزلت هذه السورة : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١ ﴾[5].

- **المقاطعة:**

فرضت قريش حصاراً شديداً جائراً على المسلمين، ومنع أبو طالب التعامل معهم، واستمر حصارهم ثلاث سنوات ذاقوا فيها الشدائد والجوع، واستمر المسلمون صابرين متماسكين متعاونين، "فكرت قريش في سلاح رهيب تقاوم به هذا الشر والخطر، وهو سلاح المقاطعة الاقتصادية، فاتفقت على أن تقاطع بني هاشم وبني المطلب مقاطعةً تامة، فلا يتزوجون من نسائهم، ولا يبيعون لهم شيئًا، ولا يشترون منهم، ولا يخالطونهم ولا يقبلون منهم صلحًا، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل"[6]، "وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في سقف (الكعبة) تأكيدا لأمرها ... وبقوا هنالك محصورين مدة ثلاث سنين ، وتضوروا بذلك جوعا

---

[1] المباركفوري, **الرحيق المختوم**, , ص82.

[2] سورة القلم : الآية 9.

[3] البغوي, **معالم التنزيل في تفسير القرآن** , ج8/ص 192.

[4] سورة الكافرون : الآيات1-2.

[5] أبو بكر الجزائري, **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**, ج5/ص 623.

[6]النجار, محمد الطيب النجار, **القول المبين في سيرة سيد المرسلين**, ص 146, دار الندوة الجديدة بيروت – لبنان.

وعطشا وعريا ، ولحقتهم مشقة عظيمة بسبب النبيﷺ" [1]، "وكان من جراء ذلك الموقف العنيف أن رجع المسلمون إلى الحبشة مرة ثانية، وانضم إليهم عدد كبير ممن لم يهاجروا قبل ذلك"[2].

- **مؤامرات قريش ومحاولات قتله ﷺ :**

تعرض النبي ﷺ إلى العديد من المحاولات لقتله، فلم تكف قريش أذها ومكرها وحقدها على النبي ﷺ ، ونذكر بعض هذه المحاولات:

"لما قام عنهم رسول الله ﷺ قال أبو جهل يا معشر قريش ، إن محمدا قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا ، وشتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وشتم آلهتنا ، وإني أعاهد الله لأجلسن له غدا بحجر ما أطيق حمله – أو كما قال – فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه فأسلموني عند ذلك أو امنعوني ، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم قالوا : والله لا نسلمك لشيء أبدا ، فامض لما تريد"[3].

لما رأى المشركون أن محمداً ﷺ أصبح له شيعة وأصحاب زاد حقدهم ومكرهم، فاجتمع كبار قريش في أمر النبي ﷺ واجمعوا على قتله، " فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له، استخلف ﷺ علياً فأتى جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه قال فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام فيثبون عليه فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم قال لعلي بن أبي طالب نم على فراشي وتسج ببردي هذا الحضرمي الأخضر فنم فيه فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام في برده ذلك إذا نام" [4]، وحتى أنه وضع له السم

---

[1] الشافعي, محمد بن عمر بحرق الحضرمي الشافعي, **حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار**, ص190, دار الحاوي سنة النشر 1998م بيروت, تحقيق: محمد غسان نصوح عزقول.

[2] النجار, **القول المبين في سيرة سيد المرسلين**, ص 143.

[3] ابن هشام, **سيرة ابن هشام**, ج1/ ص 298.

[4] ابن هشام, **سيرة ابن هشام**, ج3/ ص8.

السم في الطعام "أن امرأة من اليهود أهدت الى النبي ﷺ شاة مسمومة فقال لأصحابه امسكوا فإنها مسمومة فقال ما حملك على ما صنعت قالت اردت ان اعلم إن كنت نبيا فسيطلعك الله عليه وإن كنت كاذبا اريح الناس منك فما عرض لها"[1].

وفي غزوة أحد حاول الكافرون قتل الرسول ﷺ، وقد كان الغم والحزن في نفوسهم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ﴾[2] "كان يوم بلاء وتمحيص أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة حتى خلص العدو إلى رسول الله ﷺ فدث بالحجارة حتى وقع لشقه فأصيبت رباعيته وكلمت شفته وشج في وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل ﷺ يمسحه وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم... ووقع ﷺ في حفرة من الحفر التي عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون فأخذ علي إبن أبي طالب بيده ورفعه طلحة ابن عبيد الله حتى استوى قائما ومص مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري الدم من وجهه ثم ازدره فقال رسول الله ﷺ: "من مس دمه دمي لم تصبه النار..."[3].

المبحث الثالث: صور من ابتلاءات المؤمنين، وفيه اربعة مطالب، هي :

---

[1] السيوطي,**الخصائص الكبرى**, ج1/ ص431.

[2] سورة آل عمران : الآية 154.

[3] الكلاعي, **الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء**, ج2/ ص63 .

المطلب الأول: الابتلاء بالخوف والجوع

المطلب الثاني: الابتلاء بالمال

المطلب الثالث: الابتلاء بالنفس

المطلب الرابع: الابتلاء بالشر والخير

صور من ابتلاءات المؤمنين:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠ ﴾[1]، لم تكن الابتلاءات خاصة بالأنبياء فحسب، بل هي مرافقة لأهل الإيمان في كل عصر وزمان، فالأنبياء وأمثالهم هم أشد الناس بلاءً؛ لأنهم أهل الصلاح وأهل لتحملِ الشدائد والاختبار لتكون لهم الرفعة في الدنيا والدرجات العلا في الجنان. قال ابن القيم: "وإذا تأملت حكمته سبحانه فيما ابتلى به عباده وصفوته بما ساقهم به إلى أجلِّ الغايات وأكمل النهايات التي لم يكونوا يعبرون إليها إلا على جسر من الابتلاء والامتحان، وكان ذلك الابتلاء والامتحان عين الكرامة في حقهم، فصورته صورة ابتلاء وامتحان، وباطنه فيه الرحمة والنعمة، فكم لله مِن نعمة جسيمة ومنَّة عظيمة تُجنى من قطوف الابتلاء والامتحان"[2].

تجدر الإشارة إلى أنّ المؤمن لا يطمع بالدنيا وزخرفها، ولا يحيى لأجل التنعم فيها، بل يعلم أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، ويعلم أن الابتلاء فيه له كل الخير، وأن الله عنده الأجر العظيم، والصابرون يوفون أجورهم بغير حساب، فلا يجزع ولا يخنع، بل يزيده الابتلاء صلابةً في إيمانه وقوةً في عقيدته، فالدنيا دار اختبار لا دار تنعم، وقد أفلح من أدرك ذلك، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: " مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تميله، ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء، ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز، لا تهتز حتى تستحصد"[3].

---

[1] سورة آل عمران : الآية200.

[2] ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية, **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، ج1/ ص299, دار الكتب العلمية بيروت.

[3] اخرجه مسلم ، **صحيح مسلم**, كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب مثل المؤمن كالزرع ومثل الكافر كشجر الأرز، حديث رقم: **7270** (2163/4).

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾[1]" أي : ما زادهم الابتلاء إلا تصديقًا بوعد الله وتسليمًا لأمره"[2] ، "نعم إنه دليل صدق ايمان المؤمنين وثباتهم وتسليمهم لابتلاء الله لهم، بل إنه زادهم إيمانا مع ايمانهم، فالابتلاء ما هو الا تمحيص للمؤمنين، ويزيد العبد قربا من ربه في محنه، " البلاء يوجب منَ العبد الرجوع إلى الله عز وجل، والوقوف ببابه، والتضرع إليه، والاستكانة والدعاء، وذلك من أعظم فوائد البلاء؛ ففي بعض الآثار: {إن الله ليبتلي العبد –وهو يحبه– ليسمع تضرُّعَه ودعاءه}"[3]، " ولولا أن الدنيا دار ابتلاء لم تعتو فيها الأمراض والأكدار، ولم يضق العيش فيها على الأنبياء والأخيار، فآدم يعاني المحن إلى أن خرج من الدنيا، ونوح بكى ثلاثمائة عام، وإبراهيم يكابد النار وذبح الولد، ويعقوب بكى حتى ذهب بصره، وموسى يقاسي فرعون ويلقي من قومه المحن، وعيسى بن مريم لا مأوى له إلا البراري في العيش الضنك، ومحمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين يصابر الفقر، وقتل عمه حمزة وهو من أحب أقاربه إليه، ونفور قومه عنه، وغير هؤلاء من الأنبياء والأولياء مما يطول ذكره ولو خلقت الدنيا للذة لم يكن حظ المؤمن منها"[4].

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾[5]،

---

[1] الأحزاب : الآية 22.

[2] النجدي، فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النجدي, **تطريز رياض الصالحين**، ج1/ ص69, دار العاصمة للنشر والتوزيع الرياض، الطبعة الاولى، 2002 م, تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد.

[3] القرني، عبد الخالق القرني ، **كشف الكربة عند فقد الاحبة** ، ص55 د. م ، مكتبة ابو بكر الصديق، الطبعة الأولى2000م .

[4] المنبجي، محمد بن محمد شمس الدين المنبجي، **تسلية أهل المصائب**، ص23, دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ،الطبعة الثانية 2005م.

[5] سورة البقرة : الآيات 155 – 156.

{ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ } قيل في مفسير التستري : هم الذين صار الصبر لهم عيشاً وراحةً ووطناً، يتلذذون بالصبر لله تعالى على كل حال،[1] وتوضح هذه الآياتُ العظيمةُ صنوفاً متنوعةً من الابتلاءات التي تعترض المؤمن في دروب حياته، ولا تكاد تخلو حياة مؤمن منها، وتبشرُ الآيات الصابر على هذا الابتلاء بالأجر العظيم، تبين الآية موقف المؤمن الصادق من الابتلاء وهو الرضا وعلمه أنه لله وأنه إليه راجع.

يقول سيد قطب : "ولابد من تربية النفوس بالبلاء، ومن امتحان التصميم على معركة الحق بالمخاوف والشدائد، وبالجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات. لابد من هذا البلاء ليؤدي المؤمنون تكاليف العقيدة، كي تعز على نفوسهم بمقدار ما أدوا في سبيلها من تكاليف، والعقائد الرخيصة التي لا يؤدي أصحابها تكاليفها لا يعز عليهم التخلي عنها عند الصدمة الأولى"[2]، وقوله تعالى: " وَلَنَبْلُوَنَّكُم" {أي ولنختبركم يا أمة محمد، واللام لجواب القسم تقديره والله ليبلونكم والابتلاء من الله لإظهار المطيع من العاصي لا ليعلم شيئاً لم يكن عالماً به} "بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ" قال ابن عباس: يعني خوف العدو، "وَٱلْجُوعِ"يعني القحط،"وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ" بالخسران والهلاك، "وَٱلْأَنفُسِ" يعني بالقتل والموت وقيل بالمرض والشيب، "وَٱلثَّمَرَٰتِ"يعني الجوائح في الثمار"[3].

يقول الطبري:" وهذا إخبار من الله تعالى ذكره أتباعَ رَسوله ﷺ، أنه مبتليهم وممتحنهم بشدائد من الأمور، ليعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه، كما ابتلاهم فامتحنهم بتحويل

---

[1] التستري, أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (المتوفى: 283هـ), **تفسير التستري**,ص23|ج1 منشورات محمد علي بيضون / دارالكتب العلمية – بيروت,الطبعة: الأولى – 1423 هـ, تحقيق: محمد باسل عيون السود

[2] قطب, سيد، **ظلال القران**، ج6/ ص116.

[3] البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن** , ج1/ ص169.

القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، وكما امتحن أصفياءَه قَبلهم. ووَعدهم ذلك في آية أخرى فقال لهم: قَالَ تَعَالَى:﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ٢١٤﴾"[1]، "أخبر تعالى أنه لا بد أن يبتلي عباده بالمحن، ليتبين الصادق من الكاذب، والجازع من الصابر، وهذه سنته تعالى في عباده؛ لأن السراء لو استمرت لأهل الإيمان، ولم يحصل معها محنة، لحصل الاختلاط الذي هو فساد، وحكمة الله تقتضي تمييز أهل الخير من أهل الشر. هذه فائدة المحن، لا إزالة ما مع المؤمنين من الإيمان، ولا ردهم عن دينهم، فما كان الله ليضيع إيمان المؤمنين"[2].

اولاً: الابتلاء بالخوف والجوع

الابتلاء بالخوف

أول تلك الابتلاءات المذكورة في الآيات السابقة هو الخوف، والخَوْفُ "الفَزَعُ"[3]، قال الاصفهاني : "والخوف من الله لا يراد به ما يخطر بالبال من الرعب كاستشعار الخوف من الأسد، بل إنما يراد به الكف عن المعاصي واختيار الطاعات ولذلك قيل: لا يعد خائفا من لم يكن للذنوب تاركا، والتخويف من الله تعالى: هو الحث على التحرز وعلى ذلك قوله تعالى: ذلك يخوف الله به عباده"[4]،"وإنما قلله، لأن ما واقاهم منه أكثر بالنسبة إلى ما أصابهم بألف مرة،

---

[1] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**, ج3/ ص219 . والآية من (سورة البقرة : الآية 214).

[2] السعدي ، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**, ص 75.

[3] ابن منظور، **لسان العرب** ، ج9/ ص99 .

[4] الراغب الاصفهاني, **مفردات ألفاظ القرآن**، ابو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني, ج1/ ص488 ، دار القلم- دمشق، 2009م, تحقيق: صفوان عدنان داوودي.

"وقيل: إذا سكن الخوف القلوب أحرق مواضع الشهوات منها وطرد الدنيا عنها، وقيل: الناس على الطريق ما لم يزل عنهم الخوف، فإذا زال عنهم الخوف ضلوا عن الطريق"[1].

ذُكر الخوف في العديد من الآيات، اذكر منها، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ ﴾[2]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾[3]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[4]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ﴿٢٠٥﴾ ﴾[5]قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾[6]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ ﴾[7].

إنّ أول ما يقع بالفكر أن الخوف أمر شديد السوء، وألمُ قاتلُ وهلاكُ محتمٌ، ولكنه على العكس من ذلك وهو للمؤمن ابتلاء لخير، بل هو نعمة على العباد، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ

---

[1] ابن القيم الجوزية ، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين** ، ج1/ ص513 ، دار الصميعي, المملكة العربية السعودية, تحقيق: ناصر السعوي، علي القرعاوي وآخرون.

[2] سورة الزمر: الآية 16.

[3] سورة آل عمران : الآية 175.

[4] سورة الأعراف : الآية 56.

[5] سورة الأعراف : الآية 205.

[6] سورة الرحمن : الآية 46.

[7] سورة الذاريات : الآية 37.

فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[1]، قال الطبري: "قيل إن معنى ذلك: أنعم الله عليهما بالخوف"[2].

والخوف منَ الله رادعٌ قويٌ للابتعاد عن الوقوع في المعاصي والكبائر والمهالك وإلحاق الضرر بالنفس وبالغير، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾[3] فكان الخوف من الله رادعاً للوقوف على حدوده، وبالخوف منَ الله يتميز مَن يريد الآخرة ويخشاه، فلا يعمل بأمره إلا مَن يخافه ويبتغي مرضاته والقرب منه، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٩٤﴾ ﴾[4].

قال الشوكاني: "ليعلم الله مَن يخافه بالغيب، أي: ليتميز عند الله من يخافه منكم بسبب عقابه الأخروي فإنه غائب عنكم غير حاضر"[5].

الابتلاء بالجوع:

فيقول ابن قيم الجوزية: "كم من معصيةٍ جلبها الشبع وفضول الطعام، وكم من طاعةٍ حال دونها، فمن وقي شر بطنه، فقد وقي شرًّا عظيمًا، والشيطان أعظم ما يتحكم من الإنسان إذا ملأ بطنه من الطعام"[6].

---

[1] سورة المائدة : الآية 23.

[2] الطبري, **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**, ج10/ ص181.

[3] سورة المائدة : الآية 28.

[4] سورة المائدة : الآية 94.

[5] الشوكاني، محمد بن علي بن محمد ، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، ج2/ ص112, اعتنى به: يوسف الغوش، بيروت– لبنان، دار المعرفة، الطبعة الرابعة 2007م.

[6] الزرعي, محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله, **[بدائع الفوائد – ابن القيم الجوزية]**, ج2/ص 498, مكتبة نزار مصطفى الباز – مكة المكرمة, الطبعة الأولى ، 1416 – 1996, تحقيق هشام عبد العزيز عطا – عادل عبد الحميد العدوي – أشرف أحمد الج.

إما أن يكون الجوع في حياة المؤمن اختياراً او اضطراراً، فعندما يصوم المؤمن يكون صومه اختياراً منه، ولغايةٍ لله وهو طلب الأجر والتقرب إليه بهذه الطاعة، فيمتنع عن الأكل والشرب ويمسك نفسه عما لا يرضي الله، ثبت في الحديث ، عن عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال قال رسول الله ﷺ :" كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف قال الله عز وجل: إلا الصوم، فإنه لى وأنا أجزى به يدع شهوته وطعامه من أجلى للصائم فرحتان: فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه. ولخلوف فيه أطيب عند الله من ريح المسك" [1].

فكان أجر الصيام عند الله عظيماً لأنه امتنع عن أمر عظيم وبه لا تقوم لحاله قائمه، فالجوع ليس بالأمر الهين، بل هو شديد على الجسد والنفس، فهو وقود الإنسان الذي يعتاش منه، وعندما يبتلى المؤمن بالجوع وهو في حال لا يملك فيها قوته، فهذا بلاء عظيم، فذكر الله في بعض آياته هذه المنةَ التي يكون بها العبد امناً من الجوع، فقد قال تعالى ممتناً على قريش: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلَّذِىٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ۝٤ ﴾ .[2]

والجوع كان اختباراً للصحابة في الاستجابة لأمر الله ورسوله ﷺ فاستجابوا رغم شدة جوعهم، "عن عن أنس بن مالك قال لما فتح رسول الله ﷺ خيبر أصبنا حمرا خارجة من القرية فطبخنا منها فنادي منادى رسول الله ﷺ ألا إن الله ورسوله ينهيانكم عنها فإنها رجس من عمل

[1] اخرجه مسلم, **صحيح مسلم** , الصيام , باب فضل الصيام, حديث رقم: 2763(3/158).

[2] سورة قريش : الآيات 3–4 .

الشيطان، فأكفئت القدور بما فيها وإنها لتفور بما فيها"[1]، جاء في حلية الأولياء الأبيات الشعرية الآتية[2] :

وَجَدْتُ الْجُوعَ يَطْرُدُهُ رَغِيفٌ ...وَمِلْءُ الْكَفِّ مِنْ مَاءِ الْفُرَاتِ

وَقِلُّ الطُّعْمِ عَوْنٌ لِلْمُصَلِّي... وَكَثْرُ الطُّعْمِ عَوْنٌ لِلسُّبَاتِ

إن للابتلاء بالجوع فوائدَ عظيمةٌ، فيجلبُ الجوعُ الرقةَ للقلبِ والإنكسار والذل حتى لا يطغى العبد ويغفو، وفيه كسر للشهوات والشعور، ويزيد شعورنا بغيرنا من الفقراء ، وفيه صحة للبدن ودفع للأمراض والكثير من الفوائد بحكمة من الله سبحانه وتعالى.

الابتلاء بالمال:

إنّ محبة المال فطرة اودعها الله في الانسان، **قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ﴾[3]"أي: كثيراً، يعني: تحبون جمع المال وتولعون به، يقال: جم الماء في الحوض، إذا كثر واجتمع"[4]، بل إن حب المال من أكبر الشهوات عند الإنسان، **قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ١٤ ﴾[5]، لذلك كان لابد من ضبط هذه الشهوة التي هي فتنة شديدة على الانسان واختبار كبير له، **قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ

---

[1] اخرجه مسلم, **صحيح مسلم**, الصيد والذبائح, باب تحريم أكل لحم الحمر الإنسية, حديث رقم: 5132(6/65).

[2] ابن ابي الدنيا, أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: 281هـ),كتاب **الجوع**, ص140, دار ابن حزم، بيروت– لبنان الطبعة الأولى، 1417 هـ - 1997 م , تحقيق محمد خير رمضان يوسف.

[3] الفجر : الآية20.

[4] البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن** ، ج8/ ص 422.

[5] سورة آل عمران : الآية 14.

وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ٢٨ ﴾[1]، فتنة أي: "سببها، يفعل الله بها فعل المختبر لينكشف للعباد من يغتر بالعاجل الفاني ممن تسمو نفسه عن ذلك، فلا يحملنكم ذلك على مخالفة أمر الله فتهلكوا"[2].

وفي الابتلاء بنقص الاموال قيل: نقص الأموال هلاك المواشي[3]، ويقول الشعراوي في تفسيره: أما الابتلاء الثالث وهو نقص الأموال فمصدره أن المؤمنين سينشغلون عن حياتهم بأمر الدعوة ، وإذا ما شغلوا عن حركة الحياة لمواجهة العدو فسيضطرون إلى التضحية بحركة الحياة التي تنتج المال ولذلك تنقص الأموال ، لأن حركتهم في الحياة توجهت إلى مقاومة خصوم الله . وكذلك سيواجهون العدو مقاتلين؛ وقد يستشهد منهم عدد . وأخيراً يواجهون نقص الثمرات ، والثمرات هي الغاية من كل عمل .

والحق سبحانه وتعالى حين يعدنا هذا الإعداد ، فإذا نجحنا فيه تكون لنا البشرى ، لأننا صبرنا على كل هذه المنغصات : صبر على الخوف ، وصبر على الجوع ، وصبر على نقص الأموال ، وصبر على نقص الأنفس ، وصبر على نقص الثمرات .[4] والنقص في الثمرات ابتلاء " إخبار من الله تعالى ذكره أتباعَ رَسوله صلى الله عليه وسلم، أنه مبتليهم وممتحنهم بشدائد من الأمور، ليعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه، كما ابتلاهم فامتحنهم بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، وكما امتحن أصفياءَه قَبلهم"[5]. وقد اخبر النبي ﷺ عن هذه الفتنه وخوفه

---

[1] سورة الأنفال : الآية 28.

[2] البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج3/ ص207, دار الكتاب الإسلامي, القاهرة، 1984م .

[3] الالوسي, **روح المعاني**, ج2/ص68.

[4] محمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ) **تفسير الشعراوي**, ص392, (ليس على الكتاب الأصل – المطبوع – أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام 1997 م).

[5] الطبري, **تفسير الطبري**, ج3/ ص219.

على أمته منها، فقال ﷺ : "إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وإن فتنة أمتي الْمالُ"[1]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًاۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾[2]، ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾: "لتختبرن في أموالكم بأداء الحقوق الواجبة فيها، أو بذهابها"[3].

فالعبد في ابتلاءٍ بما يملك من مال زاد أم نقص، كثر أم قل، وما هو إلا عاقبة سوء أو فلاح، فان قل وضاقت حاله، فعليه بالصبر وطلب الرزق بالحلال؛ فهو في محنة واختبار، فلا يلجأ في كسبه إلى ما لا يحل، وهو مبتلىً أيضا في إنفاقه، أينفقه في ما يرضي الله عز وجل أم فيما لا يرضيه من معاصٍ وآثام، "﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ ﴾ بالزكاة والنفقة في الطاعة"[4]، فان كان ينفق المال فيما لا يرضي الله كان عليه وبالاً ونقمةً قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾[5]، فلا يغتر العبد بما يملك ويجور ويتكبر؛ فإنما هو مال الله يرزقه مَن يشاء، ولا يأكل هذا المال ويأخذه بالباطل وبغير حق، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْۚ ﴿٢٩﴾ ﴾[6]، وتوعد الله من

---

[1] الترمذي, **سنن الترمذي**, الزهد, أن فتنة هذه الأمة في المال, حديث رقم: 2336(4/569), قال الشيخ الألباني : صحيح.

[2] سورة ال عمران : الآية 186.

[3] الجزائري، **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، ج1/ ص421.

[4] العز بن عبد السلام, **تفسير العز بن عبد السلام تفسير القرآن / اختصار النكت للماوردي**, ص 184.

[5] سورة التوبة :الآية 55.

[6] سورة النساء : الآية 29.

من يأكل مالاً لا يحل له بالنار والعذاب، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠ ﴾[1]، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٨ ﴾[2]، " أي : لا يأكل بعضكم مال بعض بما لا يحل في الشرع من الخيانة والغضب والسرقة والقمار "[3]، وعن نفقة المال إن كان ينفق ماله فيما يرضي الله كان له نعمةً عظيمةً وأجراً كبيراً وفوزاً عظيماً ورفعةً في الدرجات و حسنات مضاعة، ويقول الله ممتدحاً مَن ينفق المال ابتغاء وجهه:﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[4]

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٢٦٥ ﴾[5]، فبين الله في هذه الآية الكريمة كيف أنه سبحانه يضاعف على الإنفاق ويكثره ويجعله أضعافاً، فقال في محكم التنزيل:﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ

---

[1] سورة النساء : الآية 10.

[2] سورة البقرة : الآية 188.

[3] الواحدي, **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**, ص153.

[4] سورة البقرة : الآية 261 .

[5] سورة البقرة : الآية 165.

يَحۡزَنُونَ ﴾ [1]، وكان لا بد أن يكون السؤال عنها أكيداً يوم القيامة ، وأن النبي ﷺ قال: " لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه"[2].

فالمال إذاً ابتلاءٌ من رب العالمين، فهو فتنة في تحصيله وفي إنفاقه ولابد أن يجمع وينفق على الوجه الذي يرضي الله، فلا بد من كل مسلمٍ أن يسأل نفسه هل جمع ماله بطريقِ حلالِ؟ وكان كسبه من جده وتعبه؟ أم بسرقة و احتيال و ربا؟ وأن يسأل نفسه: كيف ينفق هذا المال؟ في طريق حلال ؟ وعمل الخير ونفقات تقربه إلى الله؟ أم أنفقه بغير ما أحل الله ؟ وإلا فالسؤال عنه شديد يوم القيامة، فليحذرُوا كل الحذر من هذا الابتلاء.

الابتلاء بالنفس:

النفس في القرآن الكريم عظيمة، ولها مكانة يَحرم انتهاكها، فخذر الله في كتابه العزيز من المساس بالنفس بغير حق، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ٣٣ ﴾[3]، ونقصد بالنفس في بحثنا الإنسان بكامل هيئته وشخصه ومايشعر به، الإنسان قلباً وقالباً؛ لأنه قد ورد في القرآن الكريم مدلولات ومعانٍ مختلفة للنفسِ، فأحببت هنا أن أبين ماذا أقصد بالنفس في بحثي، إنها النفس التي جَعلت في الشريعة مقصداً من مقاصدها، هو حمايتها والمحافظة عليها،

---

[1] سورة البقرة : الآية 274.

[2] اخرجه الترمذي, **سنن الترمذي**, الزهد, باب في القيامة, حديث رقم: 2416 (4/612) قال الشيخ الألباني : صحيح.

[3] سورة الاسراء : الآية 33.

النفس التي لم يكتب لأحد الخلد بل هي إلى أجل ونهاية، وإن كل نفس مرجعها إلى خالقها، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾[1].

يبتلى الإنسان في نفسه، والابتلاء على النفس ليس بالأمر الهين، فهو مختبر بهذه النفس، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾[2].

الابتلاء قوي على النفس بمختلف أنواع الابتلاءات التي تقع عليها، "والله لتبلون، أي لتُختبرن فتوقع عليكم المحن ليعلم المؤمن من غيره، والاختبار طلب المعرفة ليعرف الجيد من الرديء، وذلك في وصف الله محال، لأن الله تعالى عالم بحقائق الأشياء كلها قبل أن يخلقها فعلى هذا يكون معنى الاختبار في وصف الله تعالى أنه يعامل العبد معاملة المختبر، وأنفسكم يعني بالمصائب والأمراض والقتل وفقد الأقارب والعشائر"[3]، وقيل:" و(أنفسكم) بالجهاد"[4]، وقيل: "والبلاء في الأنفس: القتل، والأسر، والجراح، وما يرد عليها من أنواع المخاوف والمصائب"[5]، ومن خلال الاطلاع على المقصود بالابتلاء في النفس من كتب التفسير نخلص إلى القول إن الابتلاء بالنفس يكون:

- بالقتل والجهاد.

---

[1] سورة آل عمران : الآية 145.

[2] سورة آل عمران : الآية 186.

[3] شاهين، عبد السلام محمد علي شاهين ، **لباب التأويل في معاني التنزيل** ، ج1/ ص462, دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، 2004م.

[4] السمعاني، **تفسير القرآن**, ج1/ ص386.

[5] الطيبي، شرف الدين الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي ، **فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب** (وهو حاشية الطيبي على الكشاف)، ج4/ ص373، مصرف أبو ظبي الإسلامي أبو ظبي، ، 2013م.

- بالمرض.
- بفقد الاقارب والعشيرة.
- بالأسر والجرح.

الابتلاء بالقتل: تقديم النفس لله وفي سبيل دينه اختبار حقيقي، وأيما اختبار؛ فالروح الغالية لا يُفرط فيها أحدٌ، فأما إن قدمها لله فلا تكون إلا من قلب مؤمنٍ خالصٍ لا يبتغي إلا وجهه، فالله اشترى هذه النفس ممن باعها لخالقها، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١ ﴾[1]

ومن أراد الثمين لا بد أن يقدم الثمين في سبيله، فالقتال كان اختباراً قوياً على أصحاب رسول الله ﷺ حتى اشتد الأمر عليهم وتساءلوا عن النصر، فخاطبهم الله تعالى أنه لابد للنصر من إيمانٍ قوي وتحمل كبير وعزيمةٍ وقادةٍ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ٢١٤ ﴾[2]، "قد كان الرسول ﷺ والصحابة في غزوة وذاقوا فيها شتى أنواع الابتلاء، وذلك أن المسلمين أصابهم ما أصابهم من الجهد والشدة والخوف والبرد وضيق العيش الذي كانوا فيه يومئذ"[3].

---

[1] سورة التوبة : الآية 111.

[2] سورة البقرة : الآية 214.

[3] الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن الخازن ، **لباب التأويل في معاني التنزيل**, ج1/ ص143, تصحيح: محمد علي شاهين ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415 هـ .

ويذكر صاحب الظلال كلاماً جميلاً في تفسير هذه الآية " تنتهي بالتوجه إلى المؤمنين الذين كانوا يعانون في واقعهم مشقة الاختلاف بينهم وبين أعدائهم من المشركين وأهل الكتاب، وما كان يجره هذا الخلاف من حروب ومتاعب وويلات، يتوجه إليهم بأن هذه هي سنة الله القديمة، في تمحيص المؤمنين وإعدادهم ليدخلوا الجنة، وليكونوا لها أهلاً: أن يدافع أصحاب العقيدة عن عقيدتهم؛ وأن يلقوا في سبيلها العنت والألم والشدة والضر؛ وأن يتراوحوا بين النصر والهزيمة؛ حتى إذا ثبتوا على عقيدتهم، لم تزعزعهم شدة، ولم ترهبهم قوة، ولم يهنوا تحت مطارق المحنة والفتنة"[1]، وفي تفسير قوله سبحانه وتعالى { وَزُلْزِلُواْ }" اي أُزعجوا بأنواعِ البلاء، وتلخيصُه: أَظَننتم أنكم تدخلون الجنةَ من غيرِ مَشَقَّةٍ" [2].

ولنتذكر هنا قصة أصحاب الأخدود الذين اختبروا فقدموا النفس ولم يترددوا، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠﴾[3].

وأخبرنا الله أنه يبتلي المؤمنين في سبيله ليعلمَ المجاهدَ الصادقَ الصابر منهم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ۝٣١ ﴾[4]، قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لأهل الإيمان به من أصحاب رسول الله ﷺ(وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ) أيها المؤمنون بالقتل، وجهاد

---

[1] قطب، سيد, **ظلال القرآن**، ج1/ ص179.

[2] الحنبلي، مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي, **فتح الرحمن في تفسير القرآن**، ج1/ ص300, ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، دار النوادر، الطبعة الاولى 2009 م , تحقيق: نور الدين طالب.

[3] سورة البروج : الآيات 4 – 10.

[4] سورة محمد : الآية 31.

أعداء الله (حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ) يقول: حتى يعلم حزبي وأوليائي أهل الجهاد في الله منكم، وأهل الصبر على قتال أعدائه، فيظهر ذلك لهم، ويعرف ذوو البصائر منكم في دينه من ذوي الشكّ والحيرة فيه وأهل الإيمان من أهل النفاق ونبلو أخباركم، فنعرف الصادق منكم من الكاذب"[1].

وأخبرنا سبحانه عن الاجر العظيم الذي ينتظرهم والنعيم الذي هم فيه يوم القيامة، جزاء بما صبروا وصدقوا مع ربهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٧٠ * يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٧١ ﴾[2].

الابتلاء بالمرض: المرض نعمة رغم ألمها، قال ﷺ: "ما من مسلم يصاب ببلاء في جسده، إلا أمر الله الحفظة الذين يحفظونه: أن اكتبوا لعبدي في كل يوم وليلة من الخير على ما كان يعمل ما دام محبوساً في وثاقي "[3]، هذا جميلُ كرم الله بالمبتلى بالمرض، أن لا يوقف له أجر عمل كان يعمله وهو صحيح البدن، ولا يقف كرم الله للمبتلى بالمرض عند هذا الحد، بل له من

---

[1] الطبري, **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**, ج22/ ص185.

[2] سورة آل عمران : الآيات 169- 171.

[3] **المستدرك على الصحيحين**, كتاب الجنائز, حديث رقم: 1287, (1/ 499), هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه.(الحاكم, محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري, **المستدرك على الصحيحين**, دار الكتب العلمية – بيروت, الطبعة الأولى ، 1411 – 1990, تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا)

الأجر على ما هو مصاب به، بل وتكفير ايضا عن ذنوبه، قال ﷺ :"ما يَزَالُ البلاء بالمؤمن والمؤْمِنة، في نَفْسِهِ وولده ومالِه، حتى يلقَى الله ومَا عَلَيه من خطيئة"[1].

الابتلاء بالمرض يحط الذنوب والخطايا، فالمرض ممحاة للذنوب فهذا فضل من الله عظيم يبتليه بالمرض ليطهره وحتى يلقاه وما عليه من ذنب، عن عبد الله قال : "دخلت على رسول الله صلى الله عليه و سلم وهو يوعك فقلت يا رسول الله إنك لتوعك وعكا شديدا ؟ قال (أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم) . قلت ذلك بأن لك أجرين ؟ قال (أجل ذلك كذلك ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها سيآته كما تحط الشجرة ورقها "[2]، و(الوعك) "مغث الحمي، وقيل: الحمي... فإذا أصبت بالمصيبة فلا تظنن أن هذا الهم الذي يأتيك أو هذا الألم الذي يأتيكَ ولو كان شوكة، لا تظن أنه يذهب سدي، بل ستعوض عنه خيراً منه، ستحط عنك الذنوب كما تحط الشجرة ورقها، وهذا من نعمة الله"[3].

وليعلمنا الله أن تستعينَ به في المرض، فيقول سبحان:﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ+﴾[4]، "اي: شَفاهُ اللَّهُ، وجَعَلَ مَرَضَهُ كَفّارَةً لِذُنُوبِه"[5]، وليعلمَ العبد أنه بين يدي الله وكل أمره له ويسلم لما كتب عليه ويرضى ولا يرجو احداً غير خالقه له، فهو له وكيل ومعين وشافٍ، يمدح الله نبيه ايوب الذي صبر على ابتلاء المرض فيقول قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ ...إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾[6]، قال ابن كثير:"هذه تذكرة لمن ابتلي في جسده، أو ماله، أو ولده، فله

---

[1] اخرجه الترمذي, **سنن الترمذي**, الزهد, الصبر على البلاء, حديث رقم: 2399(4/602), قال الشيخ الألباني : حسن صحيح.

[2] اخرجه البخاري, **صحيح البخاري**, كتاب المرضى, باب أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأول فالأول, حديث رقم: 5324(5/2139).

[3] بن عثيمين ، محمد بن صالح العثيمين، **شرح رياض الصالحين**، ج1/ ص143, مدار الوطن للنشر، الرياض، 1426هـ.

[4] سورة الشعراء : الآية 80.

[5] السيوطي، **الدر المنثور**, ج6/ ص306.

[6] سورة ص : الآيتين 41 – 44.

أسوة بنبي الله أيوب عليه السلام ؛ حيث ابتلاه الله بما هو أعظم من ذلك فصبر واحتسب، حتى فرج الله عنه"[1]، قال رسول الله ﷺ : "مَنْ يُرِدِ الله به خيراً يُصِبْ منه" [2].

الابتلاء بفقد الأحبة:

الموت أمر واقع لا مفر منه، فلا نملك الخلد لأنفسنا، ولا لمن نحب، فهذه سنة في الحياة جارية، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ ﴾ [3].

أن تفقدَ إنساناً قريباً عزيزاً عليك ابتلاء واقع لا يجدر بك أمامه إلا الصبر والرضا، وإلا أهلك روحك ألماً، يقول الله تعالى مخبرا عن المؤمنين في مُصابهم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[4]، "إنا لله وإنا إليه راجعون، علاج من الله عز وجل لكل من من أصيب بمصيبة دقيقة أو جليلة؛ بل إنه أبلغ العلاج وأنفعه للعبد في عاجله وآجله؛ فإذا ما تحقق العبد أن نفسه وماله وأهله وولده ملك لله عز وجل، وقد جعلها الله عنده عاريه؛ فإذ أخذها

---

[1] ابن كثير, **البداية والنهاية**، ج1/ ص513.

[2] اخرجه البخاري, **صحيح البخاري**, كتاب المرضى, باب ما جاء في كفارة المرضى, حديث رقم: 532(5/2138).

[3] سورة النساء : الآية 78.

[4] سورة البقرة : الآية 155-157.

منه فهو كالمعير يأخذ عاريته من المستعير؛ فهل في ذلك ضيْر؟! لا والذي رفع السماء بلا عَمَدٍ"[1].

وقد اخبرنا الرسول ﷺ عن أجر وعظيم ثواب من فقد من أولاده فقال رسول الله ﷺ: "إذا مات ولد العبد، قال الله تعالى لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ما قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله، ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة، وسموه بيت الحمد"[2]، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: وقال ﷺ: "لا يموت لأحدٍ، من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم"[3]، أي: ماينحل به القسم، ويقول ﷺ: "يقول الله عز وجل: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيّه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة"[4].

ما أجملها من بشاراتٍ وما أعظمه من أجر، وهل هناك ثواب أعظم من الجنة، فما عليك يا عبد الله في هذا الابتلاء إلا أن تصبرَ وتحتسبَ، لتريحَ نفسك في الدنيا وتنالَ عظيم ثواب الآخرة، وليكن لنا عبرة بصبر محمد ﷺ على موت خديجة وعمه وأولاده وأصحابه رضي الله عنهم جميعا.

الابتلاء بالجرح:

---

[1] القرني، **كشف الكربة عند فقد الاحبة** ، ج1/ ص 12.

[2] سبق تخريجه ص70.

[3] اخرجه البخاري, **صحيح البخاري**, كتاب الايمن والنذور, باب قول الله تعالى { وأقسموا بالله جهد أيمانهم } الأنعام 109, حديث رقم: 6280 (6/2452).

[4] اخرجه البخاري, **صحيح البخاري**, كتاب الرقائق, باب العمل الذي يبتغي به وجه الله, حديث رقم: 6060(2361/ج).

وفضل الجرح في سبيل الله كبير، عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال :" والذي نفسي بيده لا يكلم أحد في سبيل الله والله أعلم بمن يكلم في سبيله إلا جاء يوم القيامة واللون لون الدم والريح ريح المسك "[1]، فهنيأ له هذا الأجر والثواب.

الابتلاء بالأسر:

والأسر في سبيل الله محنةٌ شديدة، وابتلاء عصيب وجب تخليص من كان فيه، وقد يكون الابتلاء هو الأمر الواجب الوحيد الذي يجب على المسلم أن يخلص فيه أخاه المسلم، قال القرطبي: "ولَعَمرُ الله لقد أعرضنا نحن عن الجميع بالفتن فتظاهر بعضنا على بعض ! ليس بالمسلمين، بل بالكافرين! حتى تركنا إخواننا أذلاء صاغرين يجري عليهم حكم المشركين، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. قال علماؤنا: فداء الأسارى واجب وإن لم يبق درهم واحد"[2].

وقال ﷺ: " فكوا العاني [الأسير] وأطعموا الجائع، وعودوا المريض"،[3] فكم يلاقي الأسير عند العدو من ألم وعذاب وقهر، وما أكبرها من تضحية فهو يعاني من شتى صنوف الحرمان من جوع وبرد وخوف وبعد عن الأهل والأوطان، وحتى قد يُحرم من أبسط ما نملك من رؤية شمس أو قمر، والتاريخ الإسلامي مليء بمثل هذه التضحيات في سبيله، منذ زمن النبي ﷺ الى وقتنا الحاضر، نذكر –ههنا– من أوائل من أُسر في الإسلام وعُذبَ وقتل وهم آل ياسر الذين بشرهم الرسول ﷺ بالجنة، "وكانت أم عمار سمية، أول شهيدة في الإسلام طعنها أبو جهل بحربة في

---

[1] اخرجه البخاري, **صحيح البخاري**, كتاب الجهاد والسير, باب من يجرح في سبيل الله عز و جل, حديث رقم: 2649 (ج3/ ص 1032).

[2] القرطبي، **تفسير القرطبي**, ج2/ ص17.

[3] اخرجه البخاري, **صحيح البخاري**, كتاب الجهاد والسير, باب فكاك الأسير, حديث رقم: 2881(3/1109).

قلبها"[1]، وقع الصاحبي خبيب بن عدي[2] في الأسر، فباعوه إلى أناس من مكة، فأخذه أبو سروعة عقبة بن الحارث ليقتُله بأبيه الذي قُتل في بدر. فخرج به إلى التنعيم، ثم استأذنهم في صلاة ركعتين قبل أن يقتلوه، فأذنوا له، فكان أول من استنّ سُنّة الصلاة قبل القتل صبرًا، ثم أنشد خبيب قبل أن يقتلوه، فقال [3]:

فَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا...عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ فِي اللَّهِ مَصْرَعِي

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ... يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

هذه نماذج صبرت واحتسبت في أسرها، فكان الإيمان وحده هو القوة التي يستطيع أن يتسلح بها المؤمن في هذا الابتلاء، والمعين له على تحمل التعذيب والألم بأنواعه كافة، وما أصعبه من ابتلاء على الجسد والنفس.

الابتلاء بالخير والشر:

الابتلاء الذي يمر به المؤمن نوعان: إما بالخير، أو بالشر، فلا يظنّ المؤمن أنه بعيدٌ كل البعد عن أي ابتلاء، وهو يمضي في حياته بهناء، كلا بل هذا هو الابتلاء، يكون في نِعم الله غارقاً ولا يعلم أنه بهذه النعم مبتلى، وعليه تأدية شكره لله ونسبة فضله إليه، فقد يبتلى بالثراء والغناء، وقد نسيَ أنه حجة عليه، يجب عليه تقديم زكاته وحقه، فقد يجر عليه هذا المال المحاسبة والذنب ويجمع فوق ظهره الذنوب، وهو يعتقد أنه غير مبتلى، وقد يرزق بكثرة الثمر والطعام، فلا يصون هذه النعمة فيهدرها ويسرف فيها، ويبذرها ولا يلقي لها بالاً، وهي ابتلاء من

---

[1] ابن هشام، **سيرة ابن هشام**, ج2/ ص103.

[2] خبيب بن عدي بن مالك بن عامر بن مجدعة بن جحجبي بن عوف بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي, شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم.(ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: 630هـ) ، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**،ج2/ص,154 دار الكتب العلمية, الطبعة الأولى1415هـ - 1994, المحقق :علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود).

[3] ابن الأثير، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ج2/ ص154.

ربه، وقد يرزق بكثرة العيال ويفرح بهم ويظن أنه غير مبتلى بالعقم كما قد يبتلي الله به من يشاء من عباده، ولكنه في اختبار هل يطعمهم من حلال ويربيهم بالوجه الذي يرضي الله؟ فهو عنهم مسؤول، وقد يبتلى المؤمن بالكثير الكثير من النِعم التي هي عليه بلاء أن لم يؤد حقها، وهذا مصداق لقوله تعالى:﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٣٥ ﴾[1]، قال الطبري: قوله ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗ﴾ "ونختبركم أيها الناس بالشر وهو الشدة، نبتليكم بها، وبالخير وهو الرخاء والسعة، العافية فنفتنكم به"[2]. قال ابن كثير: "وقوله: { وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً } أي: نختبركم بالمصائب تارة، وبالنعم أخرى، لننظر من يشكر ومن يكفر، ومن يصبر ومن يقنط، كما قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: { وَنَبْلُوكُمْ } ، يقول: نبتليكم بالشر والخير فتنة، بالشدة والرخاء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية والهدى والضلال..وقوله: { وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ } أي: فنجازيكم بأعمالكم"[3]، ولا منافاة بين كون الابتلاء بسبب الذنوب وفي الوقت ذاته يكون اختباراً من الله سبحانه لا سيما وأن أكثر بني آدم مسرفون على أنفسهم بالذنوب والخطايا ، وقد قال الله تعالى في شأن الذنوب وآثارها، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠ ﴾"[4].

وليعلم المؤمن أنه يعيش في هذه الدنيا بين الشدة والرخاء، ليرى ماذا سيقدم، فعليه بالرضا في كلا الأمرين، فإن كان في مِحنةٍ يصبر ليفوز، وإن كان في مِنحةٍ، يشكر لتدوم وإن كلا

---

[1] سورة الأنبياء : الآية 35.

[2] الطبري, **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**, ج18/ ص439.

[3] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**, ج5/ ص342.

[4] ابو فيصل البدراني, **فقه الابتلاء وأقدار الله المؤلمة**، ج1/ ص25. والآية من(سورة الشورى : الآية 30).

الأمرين من عند الله، فإذا مسه شر فلا يجزع وإن مسه خيرٌ فلا يمنع، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [1]، اي: هو الذي إذا ناله شرٌّ أظهر شدّة الجزع، وإذا ناله خيرٌ بخل ومنع، وهذا طبع ، وهو مأمور بمخالفة طبعه، وموافقة شرعه، والشرُّ: الضرُّ والفقر، والخير: السعة والغنى[2].

الابتلاء بالنعم يكون اختبارها أشد من الابتلاء بالمصائب وحتى لا ينخدع المرء، ويظن أنه غير مُختبر بشيء وهو في اختبار بالخير والنعم التي أكرمه الله بها، والله نبه على ذلك، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ ﴾[3]، وعلى المؤمن أن يكون كيساً فطناً حذراً، في الابتلاء بالخير كما الابتلاء بالشر الذي تحدثنا عنه في العناوين السابقة من صور ابتلاءات المؤمنين، ويكون في النعم شاكرا لنعم ربه، مؤدياً تمام حقها، فلا يبخل ولا يمنع، بل يعلم أن كل رزق من عند الله، هو المعطي المانع لحكمة؛ فإن أعطى اختبر وإن منع اختبر، ليمحصَ المؤمنين ويزيدهم من فضله، قال ابن القيم: "إن ابتلاء المؤمن كالدواء له، يستخرج منه الأدواء التي لو بقيت فيه أهلكته، أو أنقصت ثوابه وأنزلت درجته، فيستخرج الابتلاء والامتحان منه تلك الأدواء، ويستعد به لتمام الأجر وعلو المنزلة، ومعلوم أن وجود هذا خير للمؤمن من عدمه"[4].

---

[1] سورة المعارج : الآيات 19 – 22.

[2] انظر, أبو العباس، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس ، **البحر المديد** ، ج8/ ص204 , دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية 2002 م.

[3] سورة الفجر: الآيتين 15 – 16.

[4] ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية ، **إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان**، ج2/ ص88, دار المعرفة – بيروت ، الطبعة الثانية ، 1395 – 1975, تحقيق محمد حامد الفقي.

المبحث الرابع: الفرق بين موقف أمة محمد ﷺ وبني إسرائيل من الابتلاءات، وفيه اربعة مطالب، هي:

المطلب الأول : قضّية الصيد

المطلب الثاني: قضّية القتال

المطلب الثالث: قضّية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

المطلب الرابع: قضّية النعم

ابتلاءات أمة محمد ﷺ:

هي أمة خاتم النبيين محمد ﷺ وقد خُصت هذه الأمة بما لم تختص به أمة غيرها، وكان لها المكانة العظيمة من مكانة نبيها الأعظم محمد ﷺ، امتدح الله هذه الأمة في كتابه الكريم، بقوله: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ ﴾[1]، وقد جاء في الآثار : "إن المراد بهذه الأمة المذكورة في الآية ، هي هذه الأمة المحمدية"[2].

اتسمت هذه الأمة بسمات كثيرة، نذكر بعضاً منها: ميزها الله في كتابه بانها امة الخيرية فقال في كتابه العزيز:﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[3]، فقد حازت الأمة المحمدية على الخيرية والمكانة بين جميع الأمم، فالله يريد لهذه الأمة القيادة في الأرض ما داموا لأوامره عاملين ويريد لها الرفعة.

وميزها أيضاً بأنها أول الأمم دخولاً للجنة، قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : "نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجَنَّة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم، فاختلفوا فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق، فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه هدانا الله له (قال يوم الجمعة) فاليوم لنا، وغداً لليهود، وبعد غدٍ للنّصارى"[4].

وميز الله هذه الأمة أيضاً بالوسطية، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴿١٤٣﴾ ﴾[5]، وميزها بأن جعل كل الارض لها مسجدا فقال ﷺ :"أُعطيتُ خمساً لم يُعطهن أحدٌ قبلي: نُصرتُ بالرعب مسيرة شهر،

---

[1] سورة الأعراف: الآية 181.

[2] ابن كثير, **تفسير القرآن العظيم**, ج3/ ص 516.

[3] سورة آل عمران : الآية 110.

[4] اخرجه مسلم, صحيح مسلم, **كتاب الجمعة**, باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة, حديث رقم:855 (2/585 – 586).

[5]سورة البقرة : الآية 143.

وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيَّما رجلٍ من أمتي أدركته الصلاة فليصلِّ..."[1]، كما اختصها أنها أمّة محفوظة، قالَ رسولُ اللهِ ﷺ:" إنَّ الله زَوَى لي الأرضَ فرأيتُ مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكُها ما زُوي لي منها، وأُعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يُهلكها بسنةٍ عامةٍ، وأن لا يُسلِّط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإنَّ ربي قال: يا مُحمَّدُ إني إذا قضيتُ قضاءً فإنَّهُ لا يُردُّ، وإني أعطيتُك لأمتك أنْ لا أهلكهم بسنةٍ عامةٍ، وأنْ لا أسلطَ عليهم عدواً مِن سوى أنفسِهم يستبيحُ بيضتَهم ولو اجتمعَ عليهم مَن بأقطارِها حَتَّى يكونَ بعضُهم يُهلك بعضاً، ويسبي بعضُهم بعضاً"[2]، وغيرها العديد من الميزات التي كرم الله بها هذه الأمة.

وميّزت أمة محمد أيضاً بابتلاءاتها عن غيرها من الأمم والتي تعرضت لها هذه الأمة وتميزت في كيفية مقابلة هذه الابتلاءات، وفيه هذا التوضيح:

إن تكاليف الله وأوامره اختبار من عنده، يختبر بها عباده ليعلم مَن يطيعه ممن يعصي وينقلب على عقبيه، فكانت تكاليف الله ابتلاءً حقيقاً واختباراً صريحاً من الله، يطلب به من عباده الاستجابة التامةَ والتنفيذَ، واقضت سنَّة الله بالأمم أن يكلفهم بأوامره عن طريق أنبيائهم، ويختبرهم في الاستجابة لهذه الأوامر، ليعلمَ مَن يطيع بإيمانٍ راسخٍ بالله وعقيدةً قويةً، ومَن ينقلب على عقبيه، فيرفض الاستجابة، وهنا يكون الخسران الذي ما بعده خسران، لقد أنزل الله على أمة محمد ﷺعن طريق نبيهم أوامر وتكاليف نستعرض بعضاً منها :

---

[1]اخرجه البخاري, **صحيح البخاري**, كتاب التيمم, باب التيمم فيالحضر إذا لم يجد الماء وخاف فوت الصلاة, حديث رقم: 328 (1/128).

[2]اخرجه مسلم, **صحيح مسلم**, الفتن واشراط الساعة, باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض, حديث رقم: 7440(8/171).

اولاً: قضية تحريم الصيد

ابتلى الله عباده المؤمنين بتحريم الصيد وهم حرم ، والأمر ليس بالهين، فهو امتحان قوي للمسلمين، و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٩٤ ﴾[1] ، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ ٩٥ ﴾[2]، في الآية الأولى: إخبار صريح بان الله سيبتليهم بأمر بالصيد، فقيل عن هذه الآية تمهيدا لقوله : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ﴾ فخاطب الله المؤمنين بتنبيههم إلى حالةٍ قد يسبق فيها حرصهم ، وحذرهم وشهوتهم وتقواهم، وهي حالة ابتلاء وتمحيص... هو ابتلاء تكليف ونهي "[3]، فهنا وقع الابتلاء هل يستجيبون لأمر ربهم أم يتولون مدبرين؟

فما كان من أصحابه ﷺ، في هذا الابتلاء إلا أن استجابوا وأطاعوا أمر ربهم، "ولقد نجحت الأمة الإسلامية وخصوصا سلفها الصالح في هذا الاختبار فقد تجنب أبناؤها وهم محرمون أو في الحرم صيد البر مهما أغراهم قربه منهم، وحبهم له على صيده والانتفاع به"[4]، وقد ابتلي بنو إسرائيل قبلهم بالبلاء ذاتهِ، فقد نهاهم الله عن صيد البحر في يوم السبت، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِۘ إِذۡ يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ إِذۡ تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعٗا وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ لَا تَأۡتِيهِمۡۚ كَذَٰلِكَ نَبۡلُوهُم بِمَا كَانُواْ

---

[1] سورة المائدة : الآية 94.

[2] سورة المائدة : الآية 95.

[3] انظر: ابن عاشور, **التحرير والتنوير**, ج7/ ص 38.

[4] الطنطاوي, **الوسيط**, ص 1373.

يَفۡسُقُونَ ﴿١٦٣﴾[1]، "إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ وكان اللّه تعالى قد أمرهم أن يعظموه ويحترموه ولا يصيدوا فيه صيدا، فابتلاهم اللّه وامتحنهم، فكانت الحيتان تأتيهم يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا أي: كثيرة طافية على وجه البحر. وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ أي: إذا ذهب يوم السبت لا تَأْتِيهِمْ أي: تذهب في البحر فلا يرون منها شيئا كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ففسقهم هو الذي أوجب أن يبتليهم اللّه، وأن تكون لهم هذه المحنة، وإلا فلو لم يفسقوا، لعافاهم اللّه"[2]، فأخفق بنو إسرائيل بما نجحت به أمة محمد ﷺ، فقد تعرضوا لاختبارٍ مشابهٍ وهو المنع من الصيد، فكان لهم مَن الله أن عاقبهم فاستحقوا اللعنة.

ثانياً: قضية القتال

امتُحن بنو إسرائيل في مادةٍ امتُحنت بها هذه الأمة، وفشل بنو إسرائيل، ونجحت هذه الأمة، حينما خرج بنو إسرائيل مَن البحر، وقال لهم الله: ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ ﴾[3]، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ ﴾[4]، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾[5].

---

[1] سورة الأعراف : الآية ١٦٣.

[2] السعدي, **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**, ص 306.

[3] سورة المائدة : الآية ٢١.

[4] سورة المائدة : الآية ٢٢.

[5] سورة المائدة : الآية ٢٤.

قالوا كلمة خذلوا فيها أنفسهم، قال تعالى :﴿ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾[1]، أي: وعدهم الله أنهم سوف يأخذونها، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ﴾[2]، ومع هذا كله يقولون: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ ﴾ [3]، وأما هذه الأمة المحمدية في غزوة بدر، فدعاهم نبيهم ﷺ للقتال وهم لا يملكون الشيء الذي يذكر من العدد والعدة، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير"، وقيل "كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدث أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر، ولم يجاوز معه إلا مؤمن بضعة عشر وثلاثمائة"[4]، "يخرجون وهم نفر قليل وعير قليل، فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش، فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله امض لما أراك الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه. فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له"[5].

ما أجملها من استجابة في موقفٍ شديدِ البلاء، فنجحوا في هذا الاختبار وثبتوا، فقد اختارهم الله واصطفاهم في معركة من أعظم المعارك، فكان لهم الأجر والفلاح، فامتدحهم الله في قوله:﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ

---

[1] سورة المائدة : الآية ٢١.

[2] سورة المائدة : الآية ٢٣.

[3] سورة المائدة : الآية ٢٤.

[4] الجنيني, إبراهيم بن محمد بن حسين العلي الشبلي الجنيني, **صحيح السيرة النبوية**, ص 160, , د. عمر سليمان الأشقر, راجعه: د. همام سعيد, دار النفائس للنشر والتوزيع, الأردن, الطبعة الأولى، 1415 هـ - 1995 م.

[5] العمري, أكرم ضياء العمري , **السِّيرةُ النَّبويَّةُ الصَّحيْحَةُ مُحَاوَلَةٌ لِتَطبِيْقِ قَوَاعِدِ المُحَدِّثِيْنَ فِيْ نَقْدِ رِوَايَاتِ السِّيْرَةِ النَّبويَّةِ, النَّبَويَّةِ**, ج2/ ص 358, مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة, الطبعة السادسة، 1415 هـ - 1994 م.

كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ ﴾[1]، يقول السعدي في تفسيره كلاماً مبيناً لهذه الآية:" **{** قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ **}** أي: عبرة عظيمة، { فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ } وهذا يوم بدر، { فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ } وهم الرسول ﷺ وأصحابه، { وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ } أي: كفار قريش الذين خرجوا من ديارهم بطرا وفخرا ورئاء الناس، ويصدون عن سبيل الله، فجمع الله بين الطائفتين في بدر، وكان المشركون أضعاف المؤمنين، فلهذا قال { يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ} أي: يرى المؤمنون الكافرين يزيدون عليها زيادة كثيرة، تبلغ المضاعفة وتزيد عليها، وأكد هذا بقوله { رَأْىَ ٱلْعَيْنِ } فنصر الله المؤمنين وأيدهم بنصره فهزموهم، وقتلوا صناديدهم، وأسروا كثيرا منهم، وما ذاك إلا لأن الله ناصر من نصره، وخاذل من كفر به، ففي هذا عبرة لأولي الأبصار، أي: أصحاب البصائر النافذة والعقول الكاملة، على أن الطائفة المنصورة معها الحق، والأخرى مبطلة، وإلا فلو نظر الناظر إلى مجرد الأسباب الظاهرة والعدد والعُدد لجزم بأن غلبة هذه الفئة القليلة لتلك الفئة الكثيرة من أنواع المحالات، ولكن وراء هذا السبب المشاهد بالأبصار سبب أعظم منه لا يدركه إلا أهل البصائر والإيمان بالله والتوكل على الله والثقة بكفايته، وهو نصره وإعزازه لعباده المؤمنين على أعدائه الكافرين"[2]، إن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا على قدر كبير من اليقين والإيمان والتوكل على الله، فما كان منهم الإ ان استجابوا لأمر ربهم وأطاعوا ولم يترددوا في هذا الاختبار ولم يخذلوا نبيهم ﷺ ، فكان لهم من الله النصر والقوة، على عكس ما فعل بنو إسرائيل مع نبيهم موسى عليه السلام.

---

[1] سورة آل عمران : الآية 13.

[2] السعدي, **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**, ص123.

ثالثا: قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إن الاختبار بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس بأقل من غيرها من الاختبارات، لما للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الحِكم البالغة التي ان غابت عن المجتمع أوجبت العقوباتِ وتدمير المجتمع وفساده، لذلك كان به الاختبار لهذه الأمة وغيرها.

إن الالتزام بأمر الله وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي حثنا الله عليه وأوجبهُ علينا وهو اختبار مَن الله ، فتميزت هذه الأمة بالأمر بالمعروف دون غيرها من الأمم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[1]، " لم تكن أمة أكثر استجابة في الإسلام من هذه الأمة، فمن ثمَ قال " :كنتم خير أمة أخرجت للناس"[2]، امتدح الله هذه الأمة لألتزامها هذا الأمر الذي لم تلتزم به أمم غيرها، فهي بخير ما دامت على هذا الأمر، إذاً، كان الحكم على هذه الأمة بالخيرية بقوله: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[3]، حكم بحيثياته وموجباته، وهذا فضل من الله سبحانه، وهذا الأومر ابتلاء وامتحان لتظهر حقيقة المكلف، وكل التكاليف ابتلاءات تعبدية، والواقع أنها –وإن كانت تعبدية– فهي لعلل موجودة ترجع إلى المكلف.

وقد ترك بنو إسرائيل هذا الأمر، وفشلوا أيضاً في هذا الاختبار ولم يلتزموا به، قال قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ

---

[1] سورة آل عمران : الآية ١١٠.

[2] الطبري, **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**, ج7/ ص 103.

[3] سورة آل عمران : الآية ١١٠.

مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩﴾[1]، فاستوجبوا أيضاً في فشلهم بهذا الاختبار اللعنة، لأنهم لم يلتزموا بما أمرهم الله به، قال الإمام ابن كثير:"﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ﴾ أي: كان لا ينهى أحد منهم أحدًا عن ارتكاب المآثم والمحارم، ثم ذمهم على ذلك ليحذر أن يُرْكَبَ مثل الذي ارتكبوا "[2].

رابعاً: قضية النعم

لقد ذكرت سابقاً في مادة البحث أن النعم اختبار من الله، لينظر بما يقابل العبد هذه النعم، ولا تقل خطورة عن أي اختبار آخر، بل هي أدقها، ومن هذه النعم على سبيل المثال لا الحصر:

- **نعمة إرسال الرسل:**

من النعم التي أنعمها الله على كل أمة نعمة إرسال الرسل ليخرجوهم من ظلمات الجهل إلى أنوار العلم بالله، فقد أرسل الله محمداً ﷺ إلى أمته، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤﴾[3].

فبعد أن دعا قومهم ولقي منهم ما لقي من الألم والأذى والاستهزاء، إلا أن دعوته قد انتشرت وانتصرت، ودخل النّاس في دين الله أفواجاً، كما أنعم الله على بني إسرائيل بإرسال نبيٍ عظيمٍ إليهم صاحب شريعة مقدسة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ

---

[1] سورة المائدة : الآية 78- ٧٩.

[2] ابن كثير, **تفسير القرآن العظيم**, ج3/ ص 160.

[3] سورة آل عمران : الآية ١٦٤.

بِرِسَالَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾[1]، وأرسل إليهم العديد من الرسل، ومن هؤلاء الأنبياء: نبي الله يعقوب عليه السلام، يوشع عليه السلام، داوود عليه السلام، سليمان عليه السلام، إلياس عليه السلام وأيدهم بالمعجزات، وخصّهم بالعديد من المعجزات، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ ﴾[2]، لكن قابل بنو إسرائيل هذه النعم بالجُحود والعصيان لأمر الله، وفشلوا أيضاً في الاختبار بهذه النعم، فبدل أن يشكروا ربهم على هذه النِّعم العظيمة، ما كان منهم إلا أنهم كانوا يقتلون أنبياءهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمُ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾[3]، على عكس أمَّة محمد الذي كان لنبيّه فيها المكانة المحمودة والسمع والطاعة، والتضحية معه والاستجابة .

- **نعمة النصر:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾[4]، جرت سنة الله أن جعل لكل أمة عدوا، يحاربون نبيهم ليصدوه عن الدين الذي جاء به، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[5]"، فقد قابلوا نعمة الله عليهم بأنهم عبدوا العجل من بعده، بدل أن يُثبتوا في إيمانهم ويحمدوا ربهم الذي

---

[1] سورة الأعراف : الآية ١٤٤.

[2] سورة الإسراء : الآية ١٠١.

[3] سورة المائدة : الآية ٧٠.

[4] سورة الفرقان : الآية ٣١.

[5] سورة البقرة : الآية49.

نجّاهم من عدوهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ﴾[1]، فينكر الله عليهم هذا الفعل ويصفهم بالظالمين، أما عن أمَّة محمد ﷺ فقد قابلت انتصاراتِها بمزيدٍ من الإيمان واليقين بالله، ونجحت في اختبارها ولم ينسبوا الفضل إلى أنفسهم بل نسبوه إلى خالقهم، ووصف الله المؤمنين أنهم يُقابلون النصر بالفرح، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ ﴾[2] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴾[3].

فالنصر للأمم اختبار من الله، لينظر إن كانوا يقابلون هذا النصر بالحمد لربهم أم ينسون ذلك، ويطغون ويضلون ويعبدون من دونه من لايملك لهم نصراً ولا عوناً، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣٤ ﴾[4]، ليكون الصبر حتى يأتي النصر ويقابل النصر بالحمد والإيمان وزيادة اليقين بالله، "فالمقطع هنا بمثابة الاستمرار للكلام عن بني إسرائيل في عهد موسى، وفيما بعد موسى، وكيف أن الانحراف قد استقر في النهاية عند بني إسرائيل حتى استحقوا العقوبة الدائمة، هذا مع أنه أخذت عليهم أغلظ المواثيق في أشد الحالات... يخبر تعالى عن بني إسرائيل أنه قطعهم اثنتي عشرة سبطا، وأمر موسى أن يضرب بعصاه الحجر

[1] سورة الأعراف : الآية ١٤٨.

1سورة الروم : الآيات4-3.

[3]سورة النصر : الآيات١ – ٣.

[4] سورة الأنعام : الآية ٣٤.

فانبجست منه اثنتا عشرة عينا. لكل سبط عين، وأكرمهم بتظليل الغمام عليهم، وأكرمهم بإنزال المن وإرسال السلوى ليأكلوا حلوى ولحما من فضله، ومع ذلك ظلموا أنفسهم بالشرك وغيره"[1].

ومما سبق استنتج أن هناك اختلافاً كبيراً وحقيقياً، بين الأمة المحمدية وبين بني إسرائيل في كيفية التعامل مع الابتلاء، وموقفهم من الاختبارات التي اختبرهم الله سبحانه وتعالى بها، ففي قضية الصّيد، وقضّية القتال، وقضّية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقضّية النعم، فكان موقف الأمة المحمدية من هذه الاختبارات السمع والطاعه لأوامر الله عن طريق نبيهم محمد ﷺ، وعلى العكس تماماً من موقف بني إسرائيل الذين فشلوا في هذه الاختبارات وخذلوا انبيائهم، الا قليلاً من المؤمنين منهم.

[1] حوّى, سعيد حوّى (المتوفى 1409 هـ), **الأساس في التفسير**, ج4/ ص 2034, دار السلام – القاهرة, الطبعة: السادسة، 1424 هـ.

الفصل الثالث

منهج القرآن الكريم في عرض آيات الابتلاء وبيان أثر الابتلاء

المبحث الأول: منهج القرآن الكريم في عرض آيات الابتلاء، وفيه مطلبان،هما :

المطلب الأول: تنوع جهة الخطاب في آيات الابتلاء

المطلب الثاني: الأسلوب والغاية في آيات الابتلاء

المبحث الثاني: أثر الابتلاء، وفيه مطلبان، هما:

المطلب الأول: أثر الابتلاء على الفرد

المطلب الثاني: واقع الابتلاء في مجتمعنا الحالي وأثره على المجتمع

المطب الأول: تنوع جهة الخطاب في آيات الابتلاء.

إن المتأمل في الخطاب القرآني يرى فيه الإعجاز والإبداع في أسلوبه وبلاغته، ويتميز الخطاب القرآني بالشمولية، فتجده يخاطب جميع الأجناس والأصناف، يخاطب المؤمنَ والكافرَ والعاصيَ والمنافقَ، الذكر والانثى، وعلى اختلاف الملل مسلمهم وكافرهم ومشركهم، فهو خطاب شامل، ويختلف عن سائر الخطابات في محكم تبليغه، كيف لا وهو كلام رب العالمين وهو أعلم بمن خلق، "ميزة الخطاب القرآني: أنه يخاطب (الإنسان) كوحدة متصلة فيها الروح والجسد وفيها العقل والعاطفة، وفيها حب"[1]، وما يهمني في هذا المطلب أن أبين الخطاب الرباني في الآيات التي تتعلق بالابتلاء فحسب وتصنيفها وفقاً لذلك، تنوع الخطاب القرآني في آيات الابتلاء لأصناف الناس، وهنا نقِف وقفةً قرآنيَّةً مع منهج الخطاب القرآني في عرض آيات الابتلاء وشموليَّته لأصناف المخاطبين، وبيان ذلك فيما يلي:

1. توجيه الخطاب القرآني في آيات الابتلاء للنَّاس عامَّة:

جاء العديد من آيات الابتلاء مخاطبةً الناس عامة، فتبين له حقيقة الابتلاء ووقوعه على الناس كافة، وأنه لا بد مع وجودهم وجود الابتلاء والاختبار في هذه الحياة، فقال تعالى في سورة الانسان:﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾[2]،

" (نَّبْتَلِيهِ) يعني لكي نبتليه بالخير والشر(فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا) يعني جعلنا له سمعا يسمع به الهدى وبصرا يبصر بها الهدى"[3].

---

[1] القحطاني, محمد بن سعيد بن سالم القحطاني, **الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف**, ج1/ص95, دار طيبة، الرياض – المملكة العربية السعودية, تقديم فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي.

[2] سورة الانسان : الآية: 1.

[3] السمرقندي, بحر العلوم, ج3/ ص503.

فهنا تخاطب الآية الكريمة الناس عامة، وتبين أن الإنسان مبتلى في هذه الدنيا، ودلالة على أهمية الابتلاء ذكره بعد ان ذكر كيفية خلق الإنسان، فألحقه بذكر الابتلاء.

- وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ١٦ ﴾[1]، وفي هذه الآية خطاب موجه إلى عموم الناس وبيان طبيعة حالهم مع الابتلاء، ليحذر الإنسان مما يقول في بلائه وفي رخائه، ودلالة على أنه مبتلى في الرخاء والشدة ومحاسب على مايقول.
- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ﴾[2]، وفي هذه الآية خطاب لعموم الناس، فيقول لهم الله: إن هذه الأرض وما عليها من زينة ماهي إلا ابتلاء للناس، فهل يفتنون بها، وتصرفهم عن خالقهم، وينشغلون بها عن عبادة ربهم، وهنا يظهر للناس عامة منهج الحياة مع منهج الخطاب في آية عن الابتلاء وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ﴾[3]، فهذه الآيات تحمل في طياتها خطاباً من رب العالمين للناس كافةً، لتبين لهم حتميةَ وقوع الابتلاء على الناس جميعاً، فجاء الخطاب فيها يوجه الكلام بصيغة العموم.

2. مخاطبة الأنبياء والمرسلين:

ومن مجالات الخطاب القرآني في آيات الابتلاء الخطاب الموجه إلى الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، وإعلامهم بسنة الابتلاء الجارية عليهم، وعلى من قبلهم ومن بعدهم من الرسل، ومن ذلك:

---

[1] سورة الفجر: الآيات 15-16.

[2] سورة المائدة : الآية 48.

[3] سورة الملك : الآية 2.

أ- قال الله تعالى مخاطباً نوحاً عليه السلام اذ نجاه في الفلك، ومن القوم المشركين بأن يحمد الله الذي خلصه من هذا البلاء، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾[1].

ب- قوله تعالى في شأن ابراهيم عليه السلام، وابتلائه بالكلمات، أي التكاليف، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾[2]، وفي ابتلائه بذبح ابنه خاطبه الله مبيناً في نهاية الآية أن ما هو فيه بلاء مبين، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴾[3].

ت- يخاطب الله تعالى نبيه محمداً ﷺ لتسليته في حزنه على الكفار لإعراضهم عن عبادة الله وحده، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾[4].

ويلحظ مما سبق أن الآيات التي تناولت مخاطبة الله تعالى لأنبيائه في أمر الابتلاء إما بإخبارهم بوقوع الابتلاء عليهم كما أخبر إبراهيم أو في بيان أحوالهم مع الابتلاء، وأن موقف الانبياء من الابتلاء كان السمعَ والطاعةَ والتسليم التام لأمر الله والصبر والدعاء والتضرع على ما هم فيه من ابتلاء.

---

[1] سورة المؤمنون : الآيات 28-30.

[2] سورة البقرة : الآية124.

[3] سورة الصافات : الآيات 103-113.

[4] سورة الكهف : الآيات 6-7.

3. مخاطبة المؤمنين والصالحين:

ورَد الخطابُ في عدد من آيات الابتلاء، مخاطبةً المؤمنين بصفة الإيمان مباشرة أو من غير ذكر لها في خطاب موجه إلى المؤمنين، وكذا خطابه لسائِر الصَّالحين والمؤمنين، ومن ذلك:

أ- خاطب الله تعالى المؤمنين بابتلائهم بمسألة الصيد، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٩٤ ﴾[1].

ب- يقول الله تعالى مخاطباً المؤمنين، كيف أنه صرف عنهم أعداءهم ونصرهم ونجاهم من هذا البلاء الشّديد في عام الخندق، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ١٠ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ﴾[2].

ت- يقول الله تعالى للمؤمنين: أنه سيبتليهم في أموالهم وأنفسهم، ويخبرهم عن الأذى الذي سينالونه من أهل الكتاب والمشركين، وأن عليهم التسلح في هذا الابتلاء بالصبر والتقوى، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ

[1] سورة المائدة : الآية 94.

[2] سورة الاحزاب : الآيات 9-11.

أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٨٦ ﴾ [1].

ث- يقول الله تعالى مخاطباً أهل الإيمان ممن كانوا مع الرسول ﷺ من صحابته:﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ٣١ ﴾[2].

إن في خطاب الله تعالى للمؤمنين في آيات الابتلاء كان بصفة إخبارهم أن الابتلاء سُنة جارية عليهم، وهم موجودون للاختبار، وأنهم في دنيا شدائد واختبارات، لا دنيا ترف وراحة.

4. مخاطبة أهل الكتاب وغيرهم من المشركين:

وجه الله سبحانه خطاباً في كتابه العزيز في بعض آيات الابتلاء الى أهلَ الكتاب، وكذا في خطابه إلى سائر الكفَّار والمشركين، ومن ذلك:

أ- وثمة خطاب من الله إلى بني إسرائيل الذين نجاهم من بلائهم بفرعون، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ٤٩ ﴾[3]، ويقول الله مخبرا عن طالوت ملك بني إسرائيل:﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۗ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم

[1] سورة آل عمران : الآيات 186.

[2] سورة محمد : الآية31.

[3] سورة البقرة : الآية 49.

مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾[1].

ب- وفي خطابه سبحانه عن قريش، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَٰٓئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ ﴾[2].

ت- وجاء خطاب الله عن اليهود، في قضّية الصيد في السبت، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ ۘ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[3].

ث- وجاء الخطاب موجهاً للمشركين، ومحذرا إياهم من بلاء منتظر، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[4].

وفي خطاب الله تعالى للكافرين من خلال آيات الابتلاء ، نجد أنه قد جاء ابتلاؤهم لمعاقبتهم وتحذيرهم ووعيد لما سوف يحل بهم.

---

[1] سورة البقرة : الآية 249.

[2] سورة القلم : الآيات 17-20.

[3] سورة الاعراف : الآية 163.

[4] سورة يونس : الآية 29-30.

المطلب الثاني: الأسلوب والغاية في آيات الابتلاء

إن أسلوبُ القرآنِ بديعٌ، ولا يمكننا الإحاطة بجميع غاياته ومَرَامِيه ومقاصدِه، فالكلمة الواحدة تحتمل كثيرًا من المعاني، وكثيرًا من الوجوه، فأسلوب القرآن الكريم إعجاز بذاته، يقول الرفاعي" وليس من شيء في أسلوب القرآن يغُض من موضعه، أو يذهب بطريقته أو يُدخله في شبهٍ من كلام الناس، أو يرده إلى طبع معروف من طباع البلغاء، وما من عالم أو بليغ إلا وهو يعرف ذلك ويعد خروج القرآن من أساليب الناس كافة دليلاً على إعجازه، وعلى أنه ليس من كلام إنسان، بيد أننا لم نرَ أحداً كشف عن سر هذا المعنى، ولا ألمَّ بحقيقته، ولا أوضح الوجهَ الذي من أجله خالف أسلوب القرآن كل ما عرف من أساليب الناس ولم يشبه واحداً منها"[1]، والذي اقصده في بحثي بالاسلوب هو الطريقة والمنهج المتبع في عرض آيات الابتلاء فحسب، وفي بحثي تناولت أسلوب القرآن الكريم في كيفية عرض آيات الابتلاء خاصة دون التطرق إلى أساليب القرآن الكريم المختلفة والمتعددة في عرض العديد من القضايا التي تهم الناس في دنياهم وأخراهم.

تعددت أساليب القرآن وتنوعت في كيفية عرض آيات الابتلاء، ولعل المطلع على آيات الابتلاء يجدها متضمنه لعدد من الأساليب، نذكر منها:

أولاً: اسلوب القصص في آيات الابتلاء

إن اسلوب القصص من الاساليب الغالبة في القرآن الكريم لأهميته وفائدة أثره على النفس، والغاية منه إيصال الفكره وتشويق السامع وزيادة انتباهه وأخذ العبرة، وتسلية فؤاد النبي ﷺ،" إنما القيمة الفنية في القرآن عموما وفي موضوع القصة خصوصا، خادم لتحقيق الهدف التربوي،

[1] الرافعي, مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: 1356هـ), **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**, ج1/ص140, دار الكتاب العربي – بيروت, الطبعة الثامنة – 1425 هـ – 2005 م.

وإدخال المضمون القرآني من أيسر طريق إلى مقر اليقين من العقل ومكمن الوجدان من القلب"[1]، وسأعرض –ههنا– لبعض آيات الابتلاء التي اتخذت أسلوب القصص وسيلة للاعتبار من خلال الآيات:

أ- في الحديث عن قصة ابتلاء إبراهيم عليه السلام التي تخبر عن قضية الأمر بذبح ولده إسماعيل، يقص الله علينا ما حدث معهما فيقول سبحانه وتعالى﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡىَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ١٠٧ ﴾[2].

ب- وفي قصة يونس عليه السلام الذي نال منه الغم والبلاء من حال قومه الذين لم يؤمنوا، إضافة إلى ابتلاع الحوت له، **قَالَ تَعَالَى:**﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٣٩ إِذۡ أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ١٤٠ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ ١٤١ فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ١٤٢ فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤٤ ﴾[3]، فيخبرنا الله تعالى عن حال يونس عليه السلام مع هذا الابتلاء ودعائه لربه وذكره، **قَالَ تَعَالَى:**﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ

[1] البوطي, محّمد سَعيد رَمضان البوطي, **من روائع القرآن – تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل**, ج1/ص204, موسسة الرسالة – بيروت 1420 هـ – 1999 م.

[2] سورة الصافات: الآيات 102–107.

[3] سورة الصافات: الآية 139-144.

سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾[1].

ت- وقص الله سبحانه وتعالى القصص في فتنة سليمان عليه السلام وابتلائهِ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٩﴾﴾[2].

ث- وفي الحديث عن الفتنة التي تعرض لها يوسف عليه السلام من امرأة العزيز، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾[3].

ج- وفي ذكر نبي الله أيوب عليه السلام ومحنته وصبره، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ﴾[4].

---

[1] سورة الانبياء: الآيات 78-88.

[2] سورة ص : الآيات 34-39.

[3] سورة يوسف : الآيات 23-24.

[4] سورة الانبياء : الآيات 83-84.

ثانياً: أسلوب الموعظة في آيات الابتلاء

الموعظة أسلوب مهم في القرآن الكريم، ومما يدلل على هذه الأهمية أنه –سبحانه وتعالى– سمى القرآن الكريم موعظةً، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[1]، وقد كان أسلوب الموعظة رفيقاً لعدد من آيات الابتلاء، كيف لا وإن من احدى غايات ذكر آيات الابتلاء الموعظة، والغاية من الموعظة تكمن في إقامة حُجة الله على خلقه، والنصيحة للمؤمنين، وللتخويف والتحذير من عقاب الله والترغيب في ثوابه، وفيه ايقاظ للقلوب، ونبين ذلك من خلال الآيات التي تحدثت عن الابتلاء، نذكر منها الاتي:

1. يتحدث الله عن بني إسرائيل ويعظنا، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[2].

2. ثمة موعظة وتحذير من الدنيا وزينتها، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ ﴾[3].

3. ثمة موعظة أخرى تدعو إلى ذكر نعم الله وتكرم الله وتفضله على المؤمنين، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ

[1] سورة النور : الآية 34.

[2] سورة الاعراف : الآيات 168.

[3] سورة الكهف : الآيتين 7–8.

أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ﴿١١﴾ ﴾[1].

4. يخبر الله عن امتنانه على أمة محمد ﷺ واستخلافهم، ويحذرهم من عقابه ويرغبهم في ثوابه، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٦٥﴾ ﴾[2].

5. يقول الله تعالى في موقف الحساب يوم لا يملك احدٌ أن يرجع لدنيا فيحسن صنعاً فيأتي القرآن الكريم شارحاً ومفصلاً ومفسراً عن هذا الموقف الرهيب لكل من افترى على الله كذبا، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ هُنَالِكَ تَبۡلُواْ كُلُّ نَفۡسٖ مَّآ أَسۡلَفَتۡۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[3].

ثالثاً: أسلوب ضرب المثل في آيات الابتلاء

إن للمثل تأثيراً أقوى من الكلام المجرد، وله دورٌ كبير في تقريب الصورة، والغاية منه جلب الانتباه، وتقريب المعنى وإيضاحه، وسأعرض نعرض –ههنا– لبعض آيات الابتلاء التي اتخذت المثل أسلوبا في بيان الغاية من آيات الابتلاء، وذلك على النحو الآتي:

أ- ينهى الله عن نقض الإيمان والعهد، وهذا مشابه للتي تنفض غزلها بعد إحكامه ونسجه، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا تَتَّخِذُونَ

[1] سورة الأحزاب : الآيات 9-11

[2] سورة الأنعام : الآيات 165.

[3] سورة يونس : الآية 30.

أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾[1].

ب- يمثل الله ابتلاءه بالمشركين كابتلاء أصحاب البستان، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسۡتَثۡنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَٰٓئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ ﴾[2].

ومن خلال عرض الأساليب السابقة للقرآن الكريم من خلال آيات الابتلاء نجد ان آيات الابتلاء جاءت في محور هذه الأساليب في الغالب، وهو أسلوب القصص والموعظة وضرب المثل، في بيان وتوضيح غاية كل أسلوب في عرض آيات الابتلاء.

[1] سورة النحل : الآية 92.

[2] سورة القلم : الآيات 17-20.

أثر الابتلاء على الفرد:

بعد الحديث عن الابتلاءِ وبيانِ مفهومهِ وحكمتهِ وذكرِ نماذج عن الابتلاء، كان لابد في نهاية البحث من ذكر أثر هذه الابتلاءات على الفرد، وما الذي تتركه هذه الابتلاءات من آثار على النفس وتبعاتها، ويمكننا القول إن المبتلى الواقع عليه البلاء يندرج في نوعين، هما:

الأول: فائز، وهو الذي فاز وربح ورضيَ بأمر كان مفعولاً.

الثاني: خاسر، وهو الذي سخط وغضب، ولم يقبل ولم يرضَ بما أصابه من ابتلاء، ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾[1].

بيان أثر الابتلاء على الفرد:

إن للابتلاء أثراً عميقاً على نفس المسلم، بل هو مصاب يقلب كينونته، يبدل حالاً إلى حال، فالمؤمن يعلم انه على هذه الدنيا ليختبر، وأن الإنسان خلق فيها في كدر، كما قَالَ تَعَالَىٰ:﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾[2]، "في كبد، أي في شدة وعناء من مكابدة الدنيا . وأصل الكبد الشدة . ومنه تكبد اللبن : غلظ وخثر واشتد . ومنه الكبد ; لأنه دم تغلظ واشتد . ويقال : كابدت هذا الأمر : قاسيت شدته"[3]. اي انه لم يخلق للهو واللعب، وان ما يصيبهُ من ابتلاءات هو أمر طبيعي، وهذه سنة الله في خلقه، ومن هنا كان لابد لهذه الابتلاءات من أثر على نفس المسلم، نذكر منها:

1. **أن الابتلاء علاج للنفس:** إن الابتلاء يخرج من النفوس العجب والتكبر والخيلاء، ولن تؤدب النفس من عجبها إلا بما يهذبها، فكان الابتلاء هو العلاج الأمثل لتهذيبها، ونذكر هنا أمراً وقع مع المسلمين في غزوة حنين، حيث قال الله تعالى واصفاً حال

---

[1] سورة الحج : الآية 11.

[2] سورة البلد : الآية 4.

[3] القرطبي, **الجامع لأحكام القرآن**, ج20/ ص 62.

بعض المسلمين الذين نال العجب من نفوسهم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾[1]، "وذلك أنَّ عسكر رسول الله ﷺ في وقعة حنين ، كانوا في غاية الكثرةِ والقوَّةِ ، فلمَّا أعجبوا بكثرتهم ، صارُوا منهزمين ، فلمَّا تَضَرَّعُوا في حال الانهزام إلى اللهِ تعالى قوَّاهم حتَّى هزموا عسكر الكُفَّارِ ، وذلك يدلُّ على أنَّ الإنسان متى اعتمد على الدُّنيا ، فاته الدِّين والدنيا ، ومتى أطاع الله ، ورجَّحَ الدِّين على الدُّنيا ، آتاه اللهُ الدِّين والدُّنيا على أحسن الوُجوه"[2]. فكان الخلاص من عجبهم بابتلائهم بما أعجبوا به بأنفسهم، ليكون لنا العبرة والأثر في نفوسنا أن ما نملك من مالٍ وعدةٍ ورزقٍ من عنده الله، وبيده منعه واعطاؤه وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله، لا بقوتنا ولا بكثرتنا، ويستوقفني هنا نموذج آخر وهو قارون؛ فبما حل به نأخذ العبرة والعظهِ ونؤدبَ نفوسنا، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾[3].

فهذا قارون وما نسبه إلى نفسه من القوة والمال و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ ﴿٧٨﴾ ﴾[4]، فكان بلاؤه باهلاك كل مايملك، وحتى نفسه التي بيد الله أمرها قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ

---

[1] سورة التوبة : الآية 25.

[2] ابو حفص, **اللباب في علوم الكتاب**, ج10/ ص55-56.

[3] سورة القصص : الآية 76.

[4] سورة القصص : الآية 78.

ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[1].

2. **الابتلاء يربي النفس على الصبر والرضا:** فبعد أن علم المسلم أن الابتلاء أمر واقعٌ لامحاله، وأن الله أعد للصابرين على مصابهم عظيم الجزاء، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾[2]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[3]، فيطمع المسلم بهذا الأجر ويكون من الصابرين عند وقوع البلاء، فقد ربى نفسه على التحمل والصبر، ولو أنه ترك نفسه ساخطةً لما ارتاحت له نفس، فالصبر يهدِي النفس ويحميها من أي هلاك في الروح والجسد المبتلى، حتى ان الصبر وقاية من الأمراض العضويه والنفسية، وهذا ما أثبته العلم الحديث، وهذا ما تحدثت عنه دراسة في مجلة الشرق الأسط، مفادها "ان الدكتور سعيد عبد العظيم أستاذ الطب النفسي بكلية طب قصر العيني –جامعة القاهرة– يؤكد ان أن الحالة النفسية السيئة تتسبب في إحداث خلل في كيمياء المخ وهرموناته، وهذا بدوره يؤثر على الجهاز الدوري بجسم الإنسان، كما يؤثر بصورة مباشرة على جهاز المناعة ويكون الجسم أكثر استعدادا لاستقبال الفيروسات والأمراض المختلفة بما في ذلك السرطانات. ويؤكد أن الحياة الجنسية تتأثر أيضا بالحالة المزاجية، لذلك يجب أن يحاول كل شخص زيادة قدرته على التحمل بحيث لا يكون سريع الانفعال أو التأثر سواء

[1] سورة القصص : الآيات 81–83.

[2] سورة الرعد : الآية 24.

[3] سورة هود : الآية 115.

على المستوى الشخصي أو العام حتى لا يضر نفسه"[1]، فالمسلم الصابر الراضي بما كتب الله له يقي نفسه ويحميها من الكثير من الأمراض التي سببها عدم الرضا والسخط والحاله النفسية السيئه، لذلك فإن الابتلاء يربي في النفس تحمل جميع الشدائد التي مرت به وستمر به، فتكون نفسه بخير ونعيم بعد ما أدركت أجر صبرها، فيعيش المسلم برضا ربه وتسليم أمره له وأن كل ما يصابه هو من عند الله وله جنان النعيم أجراً على صبره.

3. **أن الابتلاء يكشف للنفس حقيقة الدنيا:** إن الابتلاء يوقظ النفس من غفلتها، ومن الانجرار خلف زينتها وملهياتها،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧﴾[2]، فعندما نعلم أن هذه الدنيا دار فناء وأن الآخرة هي دار البقاء، وأن كل شيء هالك ولايبقى عليها مال ولا ولد ولا أهل، فتصغر الدنيا في أعيننا ونصبح أقدر على تقبل الابتلاء، وأقدر أن تكون هذه النفس متوكلةً على ربها تمام التوكل، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾[3]، فعندما يدرك العبد حقيقة الدنيا، يكون عاملا لآخرته ومكثرا من الصالحات وفعل الخير.

4. **الابتلاءات تقرب إلى الله النفوس:** في الابتلاء تصبح النفس فقيرةً إلى الله، وهذا لا يكون إلا في وقت الشدة، فتجعل العبد منيباً قريباً من ربه، طائعاً منكسراً لخالقه، متعبداً ملتزماً لأوامر خالقه، فالابتلاء يقود النفس إلى الالتزام بأمر الله بعد أن عرفت النفس ما عرفت من الضيق والمحِنة، فتجد بقرب خالقها المِنح والمكرمات، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ

---

[1] مجلة الشرق الأوسط, الجمعة 08 ربيع الثانى 1433 هـ 2 مارس 2012العدد12148 http://archive.aawsat.com/details.asp?section=15&article=666124&issueno=12148#.XFCWlNLXLZY.

[2] سورة الكهف : الآية 7.

[3] سورة الملك : الآية 2.

ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾[1]، عندما يكون المؤمن في مِحنة فإنه يتضرع إلى الله بالدعاء، ويلهج اللسان بقربه وذكره، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفۡيَةً لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ ﴾[2]، قوله تعالى: (قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ) أي "شدائدهما ; يقال : يوم مظلم أي شديد، قيل : والعرب تقول : يوم مظلم إذا كان شديدا"[3].

المِحنه تربي نفس المسلم على أن يكون دوماً قريباً من ربه لأنه لاغنى له عن خالقه وعونه ومعيته في كل حاله ، ويدرك أن السعادة ليست بالغرق في ملذات الحياة وانشغالتها، بل بالانكسار والتذلل الى الله وقربه، نعم إن البلاء يقرب المسافة بينك وبين الله ويعلمك التضرع والدعاء، يقول ابن تيميه رحمه الله " مصيبة تقبل بها على الله خير لك من نعمة تنسيك ذكر الله"، و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾[4]، يعني "(الفقر والضيق في العيش) والضراء : وهي الأمراض والأسقام والآلام، لعلهم يتضرعون (أي : يدعون الله ويتضرعون إليه ويخشعون)"[5].

---

[1] سورة الأنبياء : الآيات 87- 88 .

[2] سور الأنعام : الآية 63.

[3] القرطبي, **الجامع لأحكام القران**, ج7/ ص8.

[4] سورة الأنعام : الآية 42.

[5] ابن كثير, **تفسير القرآن الكريم**, ج3/ ص 256.

يقول سيد قطب كلماتٍ مؤثرة في هذا الصدد" لا بد من تربية النفوس بالبلاء... الالتجاء إلى الله وحده حين تهتز الأسناد كلها، وتتوارى الأوهام وهي شتى، ويخلو القلب إلى الله وحده، لا يجد سنداً إلا سنده. وفي هذه اللحظة فقط تنجلي الغشاوات، وتتفتح البصيرة، وينجلي الأفق على مد البصر.. لا شيء إلا الله.. لا قوة إلا قوته.. لا حول إلا حوله.. لا إرادة إلى إرادته.. لا ملجأ إلا إليه.. وعندئذ تطمئن الروح التى آمنت بربها وتعلو النفس وتسمو بخالقها..."[1].

5. **الابتلاء يقوي نفس المؤمن:** فبعد أن يصبح المؤمن صابراً راضياً لا بد أن تطمع نفسه إلى القوة والرفعة والتمكين من خلال هذا البلاء، فكيف تكون قوياً إن لم تذق مر الصعاب، فالنصر والتمكين لا يكون لقوم ساخطين ضعفاء في نفوسهم، فالابتلاء إعداد للمسلم، وتقوية له وتوسيع لقدراته وزيادة في الخبرات، ويصبح أقدر على رفض المغريات.

وهذا يعني أنّ الابتلاء مدرسة تربوية للنفس تهذبها وتؤدبها، حتى تبقى النفس متيقظة أن لا رخاء يدوم ولا شدة تدوم، فإن كانت في رخاء وجب عليها الشكر، وإن كانت في شدة وجب عليها الصبر، بل أعلى من ذلك وهو الرضا، والنهوض بالنفس وعدم إغراقها في وادي البؤس والضّياع والسّخط.

واقع الابتلاء في مجتمعنا الحالي وأثره:

يمر المجتمع المسلم اليوم بمرحلةٍ شديدة من الابتلاء، فلا يكاد يخلو بلد من صنف أو أصناف من الابتلاء، كما تمر الأمة اليوم بأكبر مرحلة ضعفٍ وهزيمةٍ وتبعيةٍ، فذلك بلد مبتلى بالفقر، وآخر بالقتل؛ وذلك بالاحتلال ونهب الخيرات من أعدائه، وهذا بحرب وانعدام الأمن، وهنا

[1] قطب, سيد, **ظلال القرآن**, ج1/ ص143.

حصار وهناك دمار أمة مبتلاة مادياً ومعنوياً،إنه زمن تتكالب علينا فيه الأمم كما أخبر نبي آخر الزمان محمد ﷺ حيث قال: " يوشك الأمم أن تداعى عليكم، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها"[1].

وهذا ليس بأمر غريب، بل هو سنة جرت، فلا بد من ابتلاء الجماعات واختبارهم، فعلى مر الزمان اصحاب الرسالة هم أصحاب المحن، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾[2]، ويتبادر إلى الذهن أيضًا أن الابتلاء سنة ثابتة من سنن الدعوات، وأنه من علامات الصدق، والسير في الاتجاه الصحيح نحو تحقيق الأهداف، وكيف لا والتاريخ يؤيد هذه الحقيقة، والقرآن يؤكدها... قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾[3]، ومما لا شك فيه أن هذا التحليل الجيد لحدث الابتلاء له فوائده العظيمة في طمأنة القلوب بأن الدعوة تسير في المسار الصحيح، ومن ثمَّ فهو يصرف عن نفوس أبنائها كل مسببات الوهن والتيئيس والتخذيل التي يحلو لبعض أصحاب الشهوات والشبهات أن يروجوا لها مع كل ابتلاء جديد يصيب الدعوة "[4].

لا شك في أن إصابة المجتمعات بالابتلاءات أمر طبيعي على مر الزمان، لكن الذي يهمنا في هذا البحث هو كيف نعيد إلى الأمة الأمل ونحيي فيها نوراً لقرب النصر، وكيف تعد نفسها لتصبح أهلاً لأن ترفع وتعيد أمجادها، وتخرج من بلائها وضعفها، ونجعل من المحنة منحةً.

---

[1] اخرجه ابي داود, **سنن ابي داود**, كتاب الملاحم, باب في تداعي الأمم على الإسلام, حديث رقم: 4299(ج4/ص184) قال الألباني: صحيح.(أبو داود, أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني, **سنن أبي داود**, دار الكتاب العربي . بيروت).

[2] سورة الأنعام: الآية 42.

[3] سورة العنكبوت : الآية 2-3.

[4] الهلالي, مجدي الهلالي, **الابتلاء وكيف تستفيد منه الدعوات**, ج1/ ص2,مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة الطبعة: الأولى، 1428 هـ - 2007 م.

واقع الابتلاء في مجتمعنا الحالي:

يعيش مجتمعنا في المرحلة الحالية محناً عديدة، ومصاباً جلل، كيف لا وقد خص الله ذكر هذه الأرض في محكم كتابه وفي السنة الشريفة، أرض الرسالات ومهد الحضارات إنها أرض مباركة، فيها أهل الرباط والجهاد، ومنها يأتي النصر (فلسطين) أرض المحشر والمنشر وقد ورد ذكر هذه الارض المباركة في عدد من الآيات، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١ ﴾[1].

"والمسجد الاقصى: مسجد بيت المقدس وسمي الأقصى؛ لأنه كان في ذلك الوقت أقصى بيوت الله الفاضلة من الكعبة ... ويحتمل أن يريد بالأقصى البعيد دون مفاضلة بينه وبين سواه ، ويكون المقصد إظهار العجب في الإسراء إلى هذا البعد في ليلة انتهى، ولفظه "إِلَى" (تقتضي أنه انتهى الإسراء به إلى حد ذلك المسجد، ولا يدل من حيث الوضع على دخول) والذى باركنا حوله صفة مدح لإزالة اشتراط عارض، وبركته بما خص به من الخيرات الدينية كالنبوة والشرائع والرسل الذين كانوا في ذلك القطر ونواحيه ونواديه ، والدنياوية من كثرة الأشجار والأنهار وطيب الأرض "[2].

ارض بارك الله فيها وما حولها، واسرى الله بخاتم النبي ﷺ إلى هذه الأرض المباركة لتنال شرف وصول النبي ﷺ اليها، وتنال شرف ذكرها في كتاب الله ليبقى ذكرها خالدا بين الامم، "فقد اسرى بالنبي المصطفى ﷺ من المسجد الحرام الي المسجد الاقصى، وفي ذلك نزلت الاية الكريمة: (سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ...)" وما كان ليسري الى هذا البلد الامين، لولا انه كان يعلم

[1] سورة الإسراء : الآية 1.

[2] أبي حيان, **البحر المحيط** , ج6/ ص7.

العلم اليقين انه عرق الجزيرة النابض وقلبها الخافق، وانه لا حياة للعرب في جزيرتهم، اذا لم يكن هذا البلد بحوزتهم"[1].

ارض المحشر التي قال الله عنها في كتابه، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ ﴾[2]، " أي جمعهم في الدنيا في بلاد الشام، وأهل الكتاب هنا بنو النضير حينما أجلاهم النبي ﷺ عن المدينة، عن ابن عباس قال : من شك أن المحشر بالشام فليقرا هذه الآية هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر قال لهم رسول الله ﷺ يومئذ : اخرجوا قالوا : إلى أين ؟ قال : إلى أرض المحشر"[3]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ ﴾[4]، " قدس الأرض الشام، وقدس الشام فلسطين، وقدس فلسطين بيت المقدس، وقدس بيت المقدس الجبل، وقدس الجبل المسجد، وقدس المسجد القبة"[5].

وجاءت الإشارة إلى قدسية هذه الأرض حين أقسم الله بها مع غيرها في سورة التين قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِىٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾ ﴾[6] ، " التين الجبل الذي عليه

---

[1] العارف, عارف العارف, **المفصل في تاريخ القدس**, ج1/ ص83 , مطبعة المعارف– القدس, الطبعة الخامسة 1999.

[2] سورة الحشر : الآية 2.

[3] السيوطي, **الدر المنثور**, ج8 /ص89.

[4] سورة المائدة : الآية 21.

[5] ابن منظور, **مختصر تاريخ دمشق**, ج1/ ص68, دار الفكر دمشق سنة 1404هـ 1984م.

[6] سورة التين : الآيات 1 – 8.

دمشق، والزيتون الذي عليه بيت المقدس وطور سينين، قيل : جبل بالشام مبارك حسن ذو شجر وهذا البلد الامين قال : مكة "[1].

فضل الابتلاء والصبر للمرابطين في فلسطين:

ابتلي من على هذه الأرض بأعداء الله اليهود الذين يحاربون الإسلام بشتى الطرق والوسائل، لكن الإسلام باقٍ، والذي يريد أن يواجه أو يحارب الإسلام مخطئ، ومن خاصم الرحمن خابت جهوده، وضاعت مساعيه وأتعابه سُدى.

فهذه الأمة موعودة بالبقاء والنصر والتمكين، وحكمة الله عز وجل أن يخرج لهذه الأمة في كل مرحلة من تاريخها علماءَ ودعاةً وقادةً ومجاهدين ومرابطين يستعملهم في خدمة هذا الدين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فما من ظالمٍ دخل فلسطين إلا قسم الله ظهره من تتار ومغول وصليبين، وسيقسم الله ظهر اليهود أيضاً، وسيبقى أهلها صامدين صابرين مرابطين على أرضهم، فمهما حل بهم من بلاء وقتل وتشريد واضطهاد وحصار وتجويع واعتقال، فمنصورون بإذن الله تعالى، وما عليهم إلا الصبر على هذا البلاء حتى يأتي أمر الله، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ٢١٤ ﴾[2].

مدح الله الصابرين في كتابه العزيز، وبين أنه معهم، ويحبهم وأن لهم صَلَوَاتٍ مِنْه وَرَحْمَةً وأنهُمْ مُهْتَدُونَ، وأن لهم الجنة يدخلونها بغير حساب؛ لصبرهم على الابتلاء الذي حل

[1] انظر, الرازي, **تفسير ابن أبى حاتم الرازي**, ج10/ ص 3447.
[2] سورة البقرة : الآية 214.

بهم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ ﴾[1]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [2].

فلا يكفي لأهل فلسطين قولهم: إنا مسلمون، فلا بد لهم من الابتلاء؛ ليميز الله قلوب الناس، ويكون مصير الصابرين المرابطين جنة نعيم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾[3]، و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[4]، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾[5]، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾[6].

تجدر الإشارة إلى أنّ من فضل الله تعالى للمرابطين الصابرين أنهم يدخلون الجنة بغير حساب، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾[7]، قال الشوكاني:" أي: يوفيهم الله أجرهم في مقابلة صبرهم بغير حساب، أي: بما لا يقدر على حصره حاصر، ولا

---

[1] سورة محمد : الآية 31.

[2] سورة الأنفال : الآية 46.

[3] سورة آل عمران : الآية142.

[4] سورة النحل : الآية 96.

[5] سورة هود: الآية 11.

[6] سورة الانسان : الآية12.

[7] سورة الزمر : الآية 10

يستطيع حسبانه حاسب، وقيل: بما لا يهتدي إليه عقل، ولا وصف، وقيل: أجرهم الجنة، وأرزاقهم فيها بغير حساب، والحاصل: أن الآية تدلّ على أن ثواب الصابرين، وأجرهم لا نهاية له؛ لأن كل شيء يدخل تحت الحساب فهو متناهٍ، وما كان لا يدخل تحت الحساب فهو غير متناه، وهذه فضيلة عظيمة، ومثوبة جليلة تقتضي أن على كل راغب في ثواب الله، وطامع فيما عنده من الخير، أن يتحصن بالصبر، ويزّم نفسه بزمامه، ويقيدها بقيده، فإن الجزع لا يردّ قضاء قد نزل، ولا يجلب خيرًا قد سلب، ولا يدفع مكروهًا قد وقع، وإذا تصوّر العاقل هذا حقّ تصوره، وتعقله حقّ تعقله علم أن الصابر على ما نزل به قد فاز بهذا الأجر العظيم، وظفر بهذا الجزاء الخطير، وغير الصابر قد نزل به القضاء شاء أم أبى، ومع ذلك فاته من الأجر ما لا يقادر قدره، ولا يبلغ مداه، فضمّ إلى مصيبته مصيبة أخرى، ولم يظفر بغير الجزع"[1].

قال البغوي: " قال علي-رضي الله عنه-: كل مطيع يكال له كيلٌ ويوزن له وزنً إلا الصابرين، فإنه يحثى لهم حثيًا، ويروى: "يؤتي بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان، ويصب عليهم الأجر صبًا بغير حساب"[2] ، وقال ابن كثير:"قال الأوزاعي[3]: ليس يوزن لهم ولا يكال لهم إنما يغرف لهم غرفًا"[4]، والنبيﷺ بين أنه سيأتي زمان للصابر فيه أَجْرُ خَمْسِينَ شَهِيدًا من شهداء شهداء الصحابة- رضي الله عنهم- ؛ لأنهم لا يجدون من يعاونهم ويقف معهم ويثبتهم على الحق، الصّاَبْرُ فِيهِم كَقَابْض عَلَى الْجَمْر، قال النَّبِيِّ ﷺ : "إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ زَمَانَ صَبْرٍ ، لِلْمُتَمَسِّكِ فِيهِ أَجْرُ خَمْسِينَ شَهِيدًا، فَقَالَ عُمَرُ-رضي الله عنه-: يَا رَسُولَ اللهِ، مِنَّا أَوْ مِنْهُمْ ؟ قَالَ: مِنْكُمْ" زاد البزار:"...

---

[1] انظر: الشوكاني, **فتح القدير**, ج6/ ص274.

[2] انظر: البغوي, **معالم التنزيل في تفسير القرآن**, ج7/ ص111.

[3] عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَمْرِو, أَبُو عَمْرٍو الأَوْزَاعِيُّ, من كبار أتباع التابعين كَانَ مَوْلِدُهُ بِبَعْلَبَكَّ فِي حَيَاةِ الصَّحَابَةِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِيْنَ، ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَى بَيْرُوْتَ مُرَابِطًا بِهَا إِلَى أَنْ مَاتَ سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْسِيْنَ وَمائَةٍ. انظر: ابن سعد, الطبقات الكبرى, (488/7), والذهبي, سير أعلام النبلاء, (107/7-120).

[4] ابن كثير, **تفسير القرآن العظيم**, ج7/ ص89.

الصَّبْرُ فِيهِنَّ كَقَبْضٍ عَلَى الْجَمْرِ ، لِلْعَامِلِ فِيهَا أَجْرُ خَمْسِينَ ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ ، خَمْسِينَ مِنْهُمْ أَوْ خَمْسِينَ مِنَّا ؟ قَالَ: خَمْسُونَ مِنْكُمْ"[1].

وقال ابن تيمية: "وقد يكون لهم–أي: للمتأخرين– من الحسنات ما يكون للعامل منهم– أي: من الصحابة– أجر خمسين رجلًا يعملها في ذلك الزمان؛ لأنهم كانوا يجدون من يعينهم على ذلك، وهؤلاء المتأخرون لم يجدوا مَن يعينهم على ذلك، لكن تضعيف الأجر لهم في أمور لم يضعف للصحابة لا يلزم أن يكونوا أفضل من الصحابة، ولا يكون فاضلهم كفاضل الصحابة، فإن الذي سبق إليه الصحابة من الإيمان والجهاد ومعاداة أهل الأرض في موالاة الرسول وتصديقه وطاعته فيما يخبر به ويوجبه قبل أن تنتشر دعوته وتظهر كلمته وتكثر أعوانه وأنصاره وتنتشر دلائل نبوته بل مع قلة المؤمنين وكثرة الكافرين والمنافقين وإنفاق المؤمنين أموالهم في سبيل الله ابتغاء وجهه في مثل تلك الحال أمر ما بقي يحصل مثله لأحد، كما في الصحيحين عنه ﷺ:" لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مدَّ أحدهم ولا نصيفه"[2]، حتى سماهم النبي ﷺ باخوانه، فهذه بشرى للمتأخرين بأن فيهم من يقارب السابقين، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "...وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا، قَالُوا: أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ..."[3].

وزاد الغزالي:" لأنكم تجدون على الخير أعوانًا ولا يجدون عليه أعوانًا". قال النووي –رحمه الله–:" وَالْمُرَاد بِقَوْلِهِ : "وَدِدْت أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَاننَا"، أَيْ: رَأَيْنَاهُمْ فِي الْحَيَاة الدُّنْيَا. قَالَ

---

[1] والترمذي, **جامع الترمذي**, كتاب أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ, باب ومن سورة المائدة, حديث رقم:3058 (146/5), قال الألباني: حديث صحيح.

[2] اخرجه البخاري, **صحيح البخاري**, كتاب فضائل الصحابة, باب حدثنا الحميدي ومحمد بن عبد الله, حديث رقم:3673 (8/5), ومسلم, **صحيح مسلم**, كتاب فضائل الصحابة, باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم, حديث رقم:2540 (188/7).

[3] اخرجه مسلم, **صحيح مسلم**, كتاب الطهارة, باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل فِي الوضوء, حديث رقم:249 (150/1).

الْقَاضِي عِيَاض: وَقِيلَ: الْمُرَاد: تَمَنِّي لِقَائِهِمْ بَعْد الْمَوْت، قَالَ الْإِمَام الْبَاجِيّ:" قَوْله ﷺ : "بَلْ أَنْتُمْ أَصْحَابِي"، لَيْسَ نَفْيًا لِإِخْوَتِهِمْ، وَلَكِنْ ذَكَرَ مَرْتَبَتهمْ الزَّائِدَة بِالصُّحْبَةِ، فَهَؤُلَاءِ إِخْوَة صَحَابَة، وَالَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا إِخْوَة لَيْسُوا بِصَحَابَةٍ كَمَاقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[1].

وأهل فلسطين وما حل بهم من بلاء لا يجدون من يعينهم على الصبر إلا الله، قال رسول الله ﷺ:...وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ"[2]. فكل ذلك لهم خيرٌ، لأنه من عند الله اصطفاهم في هذه الأرض عن غيرهم، ولو علم الله أن غيرهم أفضل منهم لاستبدلهم، هو ابتلاء لتمكين ورفعة ونصر، وكيف لك أن تمكن ان لم تبتل، سُئل الإمام الشافعي رضي الله عنه أيهما أفضل للمؤمن أن يبتلى أو يمكن، فقال للسائل وهل يُمكن إلا بعد أن يبتلى قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾[3]، هل مُكن يوسف عليه السلام الا بعد الابتلاء! مكن يوسف بعد أن ابتلي، وما أن يخرج من ابتلاء حتى يتلوه آخر من حسد إخوانه الى أن رموه في الجب وبيع كالرقيق ، واتهامه بالسرقة، واستعباده بمصر، وابتلائه بامرأة العزيز واتهامها إياه، ومكوثه في السجن بضع سنين، ذاق كل هذه الابتلاءات الى أن مكنه الله وأصبح يوسف ملكاً على مصر، ومنه نأخذ العبرة أنه لا قوة وتمكين إلا من بعد ضعفٍ وابتلاءٍ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى

[1] سورة الحجرات : الآية 10

[2] اخرجه البخاري, **صحيح البخاري**, كتاب الزكاة, باب الاستعفاف عن المسألة, حديث رقم:1469 (122/2).

[3] سورة يوسف : الآية 10.

شَيۡـًٔا﴾[1]، يخبر الله في هذه الآيات أن الله لا يبقى حالاً على حاله، فبعد الخوف والضعف والابتلاءات التي مررت بها أيها المؤمن، وصبرت، فإن لك القوة والغلبة والرفعة،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٦٥ ﴾[2].

"ثم قال: ﴿وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ﴾ دَرَجَاتٍ في الشرف والعقلِ والمالِ والجاهِ والرزقِ وإظهارِ هذا التفاوت ليس لأجل العجز والجهل والبخل؛ فإنه تعالى متعالٍ عن هذه الصفات، وإنما هو لأجل الابتلاء والامتحان وهو المراد من قوله ﴿لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمۡ﴾[3]".

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِىَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ ٦ ﴾[4]، قال رسول الله ﷺ:" عِظَمُ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ"، و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[5]، فهي محبة واصطفاء مَن الله عز وجل لهم، ويكفيهم أهل فلسطين المرابطون أن الله يحبهم.

---

[1] سورة النور : الآية 55.

[2] سورة الأنعام : الآية 165.

[3] الرازي, **مفاتيح الغيب**, ج14/ ص12.

[4] سورة القصص : الآيتين 5-6.

[5]الترمذي, **سنن لترمذي**, الزهد, باب ما جاء في الصبر على البلاء, حديث رقم 2396 (4/ 601), قال الشيخ الألباني: حسن صحيح, والآية من سورة آل عمران، آية 146.

قال الألباني: " وفي هذه الأحاديث دلالة صريحة على أن المؤمن كلما كان أقوى إيمانًا، ازداد ابتلاء وامتحانًا، والعكس بالعكس، ففيها رد على ضعفاء العقول والأحلام الذين يظنون أن المؤمن إذا أصيب ببلاء كالحبس أو الطرد أو الإقالة من الوظيفة ونحوها أن ذلك دليل على أن المؤمن غير مرضي عند الله تعالى! وهو ظن باطل، فهذا رسول الله ﷺ وهو أفضل البشر، كان أشد الناس حتى الأنبياء بلاء، فالبلاء غالبًا دليل خير، وليس نذير شر، كما يدل على ذلك"[1].

فهنيئًا لأهل فلسطين محبة الله لهم، ويكفيهم ذلك، فكل ما يحل بهم من ابتلاء من حزنٍ وهمٍ وغمٍ وقتلٍ وتشريدٍ واعتقالٍ من أعداء الله، ما هو إلا رفعة لهم على صبرهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾.[2]

وما شاهدناه من قبل اليهود المغتصبين من استخدام جميع الأسلحة المحرمة دوليًا على أهل فلسطين، وبخاصة على أهل غزة هاشم، فأدى إلى دمار المنازل، وحرقٍ وقتلٍ المرابطين، وما كان عليهم إلا الصبر، وقولهم: حسبنا الله ونعم الوكيل؛ لعلمهم الأجر والثواب من الله عز وجل لهم، قال رسول الله ﷺ:" إِنَّ اللهَ قَالَ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ يُرِيدُ عَيْنَيْهِ"[3]، وفي رواية الترمذي" إِذَا أَخَذْتُ كَرِيمَتَيْ عَبْدِي فِي الدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ لَهُ جَزَاءٌ عِنْدِي إِلَّا الْجَنَّة"[4].

---

[1] السلسلة الصحيحة, حديث رقم(145), (275/1) .

[2] سورة آل عمران : الآية 186.

[3] البخاري, **الجامع الصحيح**, كتاب المرضى, باب فضل من ذهب بصره, حديث رقم:5653 (116/7).

[4] الترمذي, **سنن الترمذي** , كتاب أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ, باب ما جاء في ذهاب البصر, حديث رقم:2400 (204/4), صححه الألباني.

حتى من أصيب منهم بجرحٍ ومكث في المستشفى، أو وقع في أيدي اليهود واعتقل؛ فإن الله عز وجل يأمر ملائكته بأن يكتبوا له ما كان يعمل قبل المرض والاعتقال، قال رسول الله ﷺ:" مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصَابُ بِبَلَاءٍ فِي جَسَدِهِ إِلَّا أَمَرَ اللهُ الْحَفَظَةَ الَّذِينَ يَحْفَظُونَهُ أَنِ اكْتُبُوا لِعَبْدِي فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ مِنَ الْخَيْرِ عَلَى مَا كَانَ يَعْمَلُ، مَا دَامَ مَحْبُوسًا فِي وَثَاقِي"[1].

وإننا لنجد نساء فلسطين يفرحن باستشهاد أبنائهن، وصدق رسول الله ﷺ عندما قال: " وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيَفْرَحُ بِالْبَلَاءِ كَمَا يَفْرَحُ أَحَدُكُمْ بِالرَّخَاءِ"[2]، وسيتمنى أهل العافية في الدنيا أنهم لو ابتلاهم الله كما ابتلى أهل فلسطين المؤمنين الصابرين المرابطين؛ لما يَرَوْنَ مِنْ ثَوَابِ أَهْلِ الْبَلَاءِ، قال رسول الله –ﷺ–:" يَوَدُّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّ جُلُودَهُمْ قُرِضَتْ بِالْمَقَارِيضِ، مِمَّا يَرَوْنَ مِنْ ثَوَابِ أَهْلِ الْبَلَاءِ"[3].

ثمة أمر آخر، وهو أن ابتلاء أهل فلسطين بالطاعون الذي عده النبي ﷺ لهم شهادةً ورحمةً، قال رسول الله ﷺ:" أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلام بِالْحُمَّى وَالطَّاعُونِ، فَأَمْسَكْتُ الْحُمَّى بِالْمَدِينَةِ، وَأَرْسَلْتُ الطَّاعُونَ إِلَى الشَّامِ، فَالطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لأُمَّتِي، وَرَحْمَةٌ لَهُمْ، وَرِجْسٌ عَلَى الْكَافِرِينَ"[4]، فكل مرابط على هذه الأرض المباركة ناله من الابتلاء وصنوفه ما ناله، ولا يزالون في رباط وابتلاء إلى يوم النصر الكبير، ولهم على ذلك الأجور المضاعفة على صبرهم وتحملهم لاذى اعدائهم وما يلاقونه من شرورهم، فالابتلاء سنة الصالحين ونهج الأنبياء والمرسلين، وحظ المؤمنين المرابطين فلن يحصل لهذه الأمة تمكين إلا بعد البلاء.

---

[1] سبق تخريجه.

[2] الحاكم, **المستدرك على الصحيحين**, كِتَابُ الْإِيمَانِ, أشد الناس بلاء الأنبياء ثم العلماء ثم الصالحون, حديث رقم:119 (140/1), وقال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ, قال الألباني: حديث صحيح.

[3] الترمذي, **سنن الترمذي**, باب أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ, حديث رقم:2402 (206/4), قال الألباني:الحديث حسن.

[4] البخاري, **صحيح البخاري**, الايمان, باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا وأنه يأرز بين المسجدين, حديث رقم:386(1/ 89).

أثر الابتلاءات التي يمر بها مجتمعنا:

لا بد للمحن من مِنح، ولا بد للألم من أمل، ولابد لهذه الابتلاءات من اثارٍ وعبرٍ، على الرغم من شدتها، ومرارتها وصعوبتها، نجملها في ثلاث نقاط، هي:

1. **زيادة الترابط بين أبناء المجتمع** : ما يمر به المجتمع من الابتلاءات التي سبق ذكرها، يزيد من التراحم والتآلف بين أبناء المجتمع، فالمصاب يرق قلبه ويشعر بغيره ممن ذاق ما مر به، وتجرع الألم نفسه، من فقدٍ او جرحٍ أو حصار... إلخ، ويزيد الترابط لمواجهة هذا البلاء العام ومقاتلة أعدائهم، ليعمهم الخلاص عليهم جميعاً، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦ ﴾[1] قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾[2].

فقتال العدو وكلمة الحق تجمع المسلمين على كلمة سواء، وتؤلف بينهم، وتجعلهم صفاً في سبيل الله كالبنيان، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ٤ ﴾،[3] "فهذا إخبار منه تعالى بمحبة

---

[1] سورة الانفال : الآيتين 45-46.

[2] سورة آل عمرانّ : الآية 103.

[3] سورة الصف : الآية 4.

عباده المؤمنين إذا اصطفوا مواجهين لأعداء الله في حومة الوغى ، يقاتلون في سبيل الله من كفر بالله ، لتكون كلمة الله هي العليا ، ودينه هو الظاهر العالي على سائر الأديان"[1].

2. **إظهار المنافقين وكشفهم:** إن المنافقين أشد ضرراً على المجتمع المسلم من الأعداء الظاهرين، فيمكرون ويحاربون المسلمين دون أن يُعلم حالهم، فيأتي الابتلاء ليكيشف حالهم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾[2]،و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ﴾[3]،" فتمحيص صفوف الجماعة المسلمة وتميز أعضائها بحيث يعرف الصادق في إيمانه الراسخ فيه كما يعرف الكاذب في إيمانه أو المنافق أو الضعيف في إيمانه، فإن هذا التمحيص والتمييز والعرفان لا يتم إلا بابتلاء الجماعة المسلمة بالمحن والشدائد، فالشدائد هي التي تميز القوي من الضعيف وتزيل الالتباس والخطأ بين الصادقين وغيرهم، ولاشك في أن هذا التمايز ضروري جداً للجماعة المسلمة ..."[4]، كما قال ﷺ: "تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا فأى قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء وأى قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض والآخر أسود مربدا كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا

---

[1] ابن كثير, تفسير القرآن العظيم, ج8/ ص 107.

[2] سورة العنكبوت : الآيات 2-3.

[3] سورة آل عمران : الآيات 179.

[4]انظر: زيدان, عبد الكريم زيدان, **السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الاسلامية** , ص98, مؤسسة الرسالة, الطبعة الاولى 1413هـ 1993.

ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه "[1]، فكيف سيكشف المنافق ويعرف؟ ويظهر الله المؤمن من المنافق إلا بالابتلاء؟

3. **ليرجعوا إلى ربهم:** تبتلي الأمم بما يبتلى به العباد، فتبتلى بالمصائب حتى يعودوا إلى دينهم وشرع ربهم، فالجرائم الواقعة في المجتمع والنكبات والسقطات، ماهي إلا نتيجة للابتعاد عن خالقهم، فيرسل الله البلاء على الأمم ليعودوا إلى رشدهم من سباتهم العميق، ولا ننسى هنا ان نذكر قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ﴾[2]،" ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم : وانما يجيء التغيير من الناس والتيسير من الله فلا تغيروا ما بكم من نعم الله"[3]، فلا يزول البلاء ولا يتغير حالهم إلا بتغير ما بأنفسهم، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ٩٤ ﴾ [4]، "وهذا من رحمة الله بهم وتعطفه عليهم أن صرف لهم الآيات وقلب بهم الأحوال، ونوّع عليهم الحوادث، بما يحبون ويكرهون، ولوتركهم على حال واحدة لتمادوا في الغفلة، واسرع إليهم الفساد، ولكنه سبحانه امهلهم وآتاهم من الآيات ما فيه مزدجر، ليوقظهم بها فيرجعوا زمن الإمهال"[5]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥ ﴾[6].

---

[1] اخرجه مسلم, **صحيح مسلم**, كتاب الإيمان, باب باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا وأنه يأرز بين المسجدين, حديث رقم: 386(89/1).

[2] سورة الرعد : الآية 11.

[3] ابن أبى حاتم, الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي, **تفسير ابن أبى حاتم** , ج7/ ص 2233, المكتبة العصرية – صيدا ، تحقيق: أسعد محمد الطيب.

[4] سورة الاعراف : الآية94.

[5]الحميد, حسن بن صالح الحميد, رسالة دكتوراة **سنن الله في الأمم من خلال آيات القرآن الكريم**, ص315, دار الهدي النبوي – جمهرية مصر, الطبعة الثانية 1422هـ 2011م .

[6] سورة التوبة : الآية 105.

إذا فلا يجب علينا أن نحبط أو أن نقنط من مصاب أمتنا، بل يجب أن ننهض بهذه الابتلاءات وتكون لنا سببا للرجوع إلى طريق الصواب، وإن من يبتليه الله بفقد أحبابه أو جرح أو تشريد أو حصار ما هو إلا اختبار من الله، يختبر به الأمم ليرى منهم ماذا هم فاعلون هل يكون بلاؤهم سببا لقوتهم ويقظتهم أم يستسلموا ويدع كل واحد مسؤولياته إتجاه قومه، إن ما يمر به شعبنا اليوم محنتة لمنحة فوعد الله بنصر عباده المؤمنين لذا فليكن لنا دور في هذا النصر، فهذه أرض رباط والأجر فيها مضاعف وما هو إلا محض اصطفاء.

الخاتمة

الحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام على اشرف المرسلين، الحمدلله الذي مَن علي بإتمام هذا البحث، الذي عرض موضوعا مهمّا يمس الافراد والأمم، وهو الابتلاء في القرآن الكريم (دراسةٌ تحليليةٌ موضوعيةٌ)، وخلصت فيه إلى بعض النتائج والتوصيات، التي أدعو الله عز وجل أن تنفع المسلمين، وهي كالآتي:

أولاً: أهم النتائج

1. أنّ موضوع الابتلاء أمر مهمّ في عقيدة المسلم، وهو وسيلة لتمحيص الملسمين في إيمانهم الحقيقي وتوكلهم على ربهم.
2. تكمن أهّمية الابتلاء في كيفية تقبله والتعامل معه واعتباره امراً واقعاً، لا مفرّ منه، وأن الابتلاء رحمةٌ من الله لنا في الدنيا، وتكفيرٌ لنا عن ذنوبنا، ورفعٌ لنا في درجاتنا، وأجر عظيمٌ للصابر المبتلى.
3. آيات القرآن الكريم جاءت بالكثير من الآيات التي تتحدث عن الابتلاء، وعرض القرآن الكريم العديد من نماذج الابتلاءات، وبخاصة ابتلاءات الأنبياء والرّسل، وعلى المسلم الفَطنِ أن يعلم أن هذه الحياة الدنيا دار كدرٍ وكبد، وأنه موجود عليها للأختبار والامتحان، لا لأن يغرق في زينتها ويتنعم فيها وينسى الغاية الأهم، وهي العبادة وطاعة اوأمر الله عز وجل.
4. أن أشكال الابتلاء متنوعة متعددة ؛ فالابتلاءات متعددة ومتنوعة مختلفة، منها ما هو ابتلاء بالنفس أو المال أو الولد ...
5. أن الابتلاء سنة جارية وواقعة على جميع الناس بلا استثناء.
6. أن الابتلاء يشمل الأمم كما يشمل الأفراد، فيقع على الأمم ابتلاءات جماعية.

7. أن للابتلاء أثراً كبيراً على الأفراد؛ فهي علاج للنفس من كبرها، كما يربي الفرد على الصبر، ويكشف له حقيقة الدنيا، وأن زينتها إلى زوال، وأن هذه الابتلاءات تقرب المصاب إلى ربه، كما أنها تقوي النفس وتصبح النفس عصيةً على اليأس والانكسار.

8. أن ابتلاءات الأمم وسيلة للترابط بين الأفراد وتقوية الصف، والرجوع إلى الله عز وجل والفرار إليه، وهو وسيلة لكشف المنافقين الذين لهم ضرر على المجتمع أكبر وأخطر من العدوّ الظاهر.

9. أنه لا بد للمحن من منح، وبعد كل عسرٍ يسر، فالأيام دول، ودوام الحال من المحال.

10. أن يحسنَ العبد الظن بربه لكي يكون من المؤمنين المفلحين في البلاء، وأن يصبرَ ويرضى بما أصابه من ابتلاء، وأن يعلم أن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، لا أن يسخط ويبأس من مصابه، فيكون من الخاسرين.

11. أن للابتلاء فوائدَ ومقاصدَ عظيمةً يتكرم الله بها على المبتلى.

12. أن لأهل (فلسطين) المرابطين المجاهدين الصابرين على أرضها المباركة كرامةً خاصةً، وأجراً عظيم.

ثانياً: أهم التوصيات

1. تدريس موضوع الابتلاء في المقررات الجامعية والمدرسية، لما لذلك من أهمية في توعية الأفراد بموضوع الابتلاء.

2. إعطاء الدروس التوعوية لفئات المجتمع كافة فيما يتعلق بموضوع الابتلاء، مما يسهم بشكل مباشر في تقليل نسبة الانتحار أو حتى القضاء عليه تماماً.

3. أن لا يغيب موضوع الابتلاء أيضاً عن خُطب، المساجد وعلى المنابر وبخاصة أننا أمةٌ واقعٌ عليها الابتلاء، وفي كل يوم فيها شهيد أو جريح أو أسيرٌ.
4. توظيف مفهوم الابتلاء في إعادة الأمل والنهضة من جديد بالأمة المبتلاه.
5. أوصي أيضاً بقراءة سِيَرِ الأولين منَ الأنبياء والصحابة والصالحين، واتخاذهم قدوة في التعامل مع الابتلاء وأخذ العبرة والعِظة منهم.

فهرس الأحاديث

الرقم	طرف الحديث	رقم الصفحة
.1	مَا يَزَال الْبَلاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمؤمِنَةِ في نَفْسِهِ	20
.2	مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ شَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا	21
.3	أي الناس أشد بلاء ؟ قال الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل	22
.4	عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ	22
.5	إنَّ عِظَمَ الجزاءِ مع عِظَمِ البلاءِ	24
.6	اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحا فيقولون: يا نوح	31
.7	يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة	44
.8	دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ: هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ ؟	44
.9	مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ . فَقَالَ أَصْحَابُهُ : وَأَنْتَ ، فَقَالَ : نَعَمْ	65
.10	إن كنا لننظر إلى الهلال ثلاثة أهلة في شهرين	65
.11	ما أكل النبي ﷺ خبزاً مرققاً، ولا شاة مسموطة حتى لقي الله"	65
.12	كُنْتُ أَنَامُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَرِجْلاَيَ فِي قِبْلَتِهِ، فَإِذَا سَجَدَ غَمَزَنِي	66
.13	دَخَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ عَلَى حَصِيرٍ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ	66
.14	سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : بَخٍ بَخٍ وَأَشَارَ بِيَدِهِ بِخَمْسٍ مَا أَثْقَلَهُنَّ	68
.15	إذا مات ولد العبد، قال الله تعالى لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟	70
.16	مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تميله	80
.17	كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف	75
.18	لما فتح رسول الله ﷺ خيبر أصبنا حمرا خارجة من القرية	76
.19	إنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وإن فتنة أمتي الْمالُ	87
.20	لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه	89
.21	ما يَزَالُ البلاء بالمؤمن والمؤْمِنة، في نَفْسِهِ وولده ومالِه	94

.22	مَنْ يُرِدِ الله به خيراً يُصِبْ منه	95
.23	إذا مات ولد العبد، قال الله تعالى لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟	96
.24	لا يموت لأحدٍ، من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم	97
.25	ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيّه من أهل الدنيا	97
.26	والذي نفسي بيده لا يكلم أحد في سبيل الله	97
.27	فكوا العاني [الأسير] وأطعموا الجائع	98
.28	نحن الآخرون الأولون يوم القيامة	103
.29	أُعطيتُ خمساً لم يُعطهن أحدٌ قبلي: نُصرتُ بالرعب مسيرة شهر	104-103
.30	إنَّ الله زَوَى لي الأرضَ فرأيتُ مشارقها ومغاربها	104
.31	إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ زَمَانَ صَبْرٍ	139-138
.32	لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده	193
.33	وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا	193
.34	وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ	140
.35	عِظَمُ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ	141
.36	إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ	142
.37	إِذَا أَخَذْتُ كَرِيمَتَيْ عَبْدِي	142
.38	مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصَابُ بِبَلَاءٍ فِي جَسَدِهِ	143
.39	وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيَفْرَحُ بِالْبَلَاءِ كَمَا يَفْرَحُ أَحَدُكُمْ بِالرَّخَاءِ	143
.40	يَوَدُّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّ جُلُودَهُمْ قُرِضَتْ بِالْمَقَارِيضِ	143
.41	أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلام بِالْحُمَّى وَالطَّاعُونِ، فَأَمْسَكْتُ الْحُمَّى بِالْمَدِينَةِ	143
.42	تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا	146-145

فهرس الأعلام

الرقم	العَلَم	الصفحة
.1	شيبة بن ربيعة	19
.2	ابن مسعود بن بشر	19
.3	مصعب بن سعد بن أبى وقاص	21
.4	خبيب بن عدي بن مالك	98
.5	عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَمْرِو	139

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي (المتوفى: 1270هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1415 هـ، تحقق :علي عبد الباري عطية.
2. ابن الأثير، أبو الحسن عليّ بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانيّ الجزريّ، عز الدين بن الأثير (المتوفى: 630هـ) ، **أسد الغابة في معرفة الصّحابة**، دار الكتب العلمية، **الطبعة** الأولى**1415**هـ - 1994، **تحقيق:** علي محمد معوض و عادل أحمد عبد الموجود
3. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، **الجامع الصحيح المختصر**، دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة ، 1407 – 1987، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة – جامعة دمشق
4. البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: 510هـ)، **معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)** ، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، 1417 هـ - 1997 م.
5. أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: 1094هـ)، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، مؤسسة الرسالة – بيروت.

6. البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1984م .

7. البوطي، محّمد سَعيد رَمضان البوطي، **فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة** ، دار الفكر – دمشق، الطبعة الخامسة والعشرون – 1426 هـ.

- **من روائع القرآن – تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل** ، موسسة الرسالة – بيروت 1420 هـ – 1999 م.

8. البيضاوي، عبد الله بن عمر، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الاولى، 1418هـ، بيروت، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي.

9. الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، **الجامع الصحيح سنن الترمذي**، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون.

10. التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (المتوفى: 283هـ)، **تفسير التستري**، منشورات محمد علي بيضون / دارالكتب العلمية – بيروت،الطبعة: الأولى– 1423 هـ، تحقيق: محمد باسل عيون السود

11. الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: 255هـ)،**البيان والتبيين**، دار ومكتبة الهلال– بيروت 1423 هـ.

12. الجزائري، جابر بن موسى الجزائري ، **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الخامسة 5، 1424هـ– 2003م، المدينة المنورة.

13. الجنيني، إبراهيم بن محمد بن حسين العلي الشبلي الجنيني، **صحيح السيرة النبوية**، عمر سليمان الأشقر، راجعه: د. همام سعيد، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، 1415 هـ – 1995 م.

14.ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة الثالثة ، 1404هـ .

15.ابن أبى حاتم، الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، **تفسير ابن أبي حاتم**، المكتبة العصرية – صيدا ، تحقيق: أسعد محمد الطيب.

16. الحاكم، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ، 1411 – 1990، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا.

17.ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، **الثقات**، دار الفكر، الطبعة الأولى ، 1395 – 1975، تحقيق : السيد شرف الدين أحمد.

- **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية ، 1414 – 1993، تحقيق : شعيب الأرنؤوط

18.ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلانيّ الشافعيّ، فتح **الباري شرح صحيح البخاري**، دار المعرفة – بيروت ، 1379.

19.أبو الحسن، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، **معجم مقاييس اللغة** ، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.

20.الحميد، حسن بن صالح الحميد، رسالة دكتوراة **سنن الله في الأمم من خلال آيات القرآن الكريم**، دار الهدي النبوي – جمهرية مصر، الطبعة الثانية 1422هـ 2011م .

21.الحنبلي، مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي، **فتح الرحمن في تفسير القرآن** ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، دار النوادر، الطبعة الاولى 2009 م ، تحقيق: نور الدين طالب.

22.حوّى، سعيد حوّى (المتوفى 1409 هـ)، **الأساس في التفسير**، دار السلام – القاهرة، الطبعة السادسة، 1424 هـ.

23.الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن الخازن ، **لباب التأويل في معاني التنزيل** ، تصحيح: محمد علي شاهين ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415 هـ .

24.أبو داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، **سنن أبي داود**، دار الكتاب العربي، بيروت.

25.الخلتوتي، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، **تفسير روح البيان**، دار إحياء التراث العربى.

26.ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: 281هـ)،كتاب **الجوع**، دار ابن حزم، بيروت ، الطبعة الأولى، 1417 هـ - 1997 م ، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف.

27.الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، **سير أعلام النبلاء**، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1405 هـ / 1985 م، تحقيق: مجموعة من المحققين ، إشراف : الشيخ شعيب الأرناؤوط.

28.الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ) ، **مختار الصحاح**، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة الخامسة، 1420هـ / 1999م.

29.الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، دار القلم- دمشق، 2009م، تحقيق: صفوان عدنان داوودي.

30. الرافعي، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: 1356هـ)، **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية** ، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثامنة – 1425 هـ – 2005 م.

31. الزحيلي، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، دار الفكر المعاصر – دمشقالطبعة الثانية، 1418 هـ.

32. الزرعي، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، **[بدائع الفوائد – ابن القيم الجوزية]** ، مكتبة نزار مصطفى الباز – مكة المكرمة، الطبعة الأولى ، 1416 – 1996، تحقيق هشام عبد العزيز عطا – عادل عبد الحميد العدوي – أشرف أحمد الج.

33. الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.

34. زيدان، عبد الكريم زيدان، **السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الاسلامية** ، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1413هـ 1993.

35. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، مؤسسة الرسالة، الطبعة الاولى، 1420هـ-2000م، بيروت، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق.

36. أبو السعود، محمد بن محمد العمادي أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم** ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

37. السلمي، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي، **تفسير السلمي وهو حقائق التفسير**، دار الكتب العلمية لبنان/ بيروت 1421هـ - 2001م، تحقيق: سيد عمران.

38. ابن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، **تفسير مقاتل ابن سليمان** ، دار الكتب العلمية – لبنان ، الطبعة الأولى - 1424 هـ - 2003 م، تحقيق: أحمد فريد.

39. ابن سليمان التميمي، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، **تفسير آيات من القرآن الكريم**، جمعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.

40. السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، **بحر العلوم**، دار الفكر – بيروت، تحقيق: محمود مطرجي.

41. السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: 489هـ)، **تفسير القرآن**، دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة الأولى 1418هـ- 1997م.

42. السيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي، **الخصائص الكبرى**، دار الكتب العلمية – بيروت - 1405هـ - 1985م.

43. الشافعي، محمد بن عمر بحرق الحضرمي الشافعي، **حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار**، دار الحاوي سنة النشر 1998م بيروت، تحقيق: محمد غسا ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين

44. شاهين، عبد السلام محمد علي شاهين ، **لباب التأويل في معاني التنزيل** ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2004م.

45. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: 1393هـ)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، 1415هـ - 1995 مـ.

46. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد ، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، اعتنى به: يوسف الغوش، بيروت- لبنان، دار المعرفة، الطبعة الرابعة 2007م.

47. الصابوني، محمد علي الصابوني ، **صفوة التفاسير**، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1417هـ-1997م، القاهرة.

48. الطبري، محب الدين أبو جعفر بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر الطبري، **خلاصة سير سيد البشر**، مكتبة نزار مصطفى البازسنة مكة المكرمة – السعودية 1418هـ - 1997م

- **تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن** ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الأولى، 1422 هـ - 2001م.

49. الطنطاوي، محمد سيد طنطاوي، **التفسير الوسيط للقرآن** ، دار نهضة مصر، الفجالة – القاهرة الطبعة الأولى.

50. الطيبي، شرف الدين الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي ، **فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب** (وهو حاشية الطيبي على الكشاف)، مصرف أبو ظبي الإسلامي أبو ظبي،، 2013م.

51. العارف، عارف العارف، **المفصل في تاريخ القدس** ، مطبعة المعارف- القدس، الطبعة الخامسة 1999.

52. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، **التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"** ، الدار التونسية للنشر – تونس 1984 هـ.

53. أبو العباس، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس ، **البحر المديد** ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية 2002 م.

54. عبد العظيم، سعيد عبد العظيم، **عظات وعبر في قصص الأنبياء** ، دار القمة ودار الإيمان، الطبعة الاولى، 2003م، الإسكندرية.

55. ابن عثيمين ، محمد بن صالح العثيمين، **شرح رياض الصالحين**، مدار الوطن للنشر، الرياض، 1426هـ.

56. ابن عجيبة ، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسنيّ الإدريسيّ الشاذليّ الفاسي أبو العباس، **البحر المديد**، دار الكتب العلمية . بيروت / الطبعة الثانية / 2002 م/ 1423هـ.

57. ابن عطيه، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** ، دار الكتب العلمية – لبنان / الطبعة الأولى 1413هـ 1993م، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد.

58. أبو عمر، محمد بن حمد الصوياني ، **السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة(قراءة جديدة)**، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، 1424 هـ – 2004 م.

59. العمري، أكرم ضياء العمري ، **السِّيرةُ النَّبَويَّةُ الصَّحيْحَةُ مُحَاوَلَةٌ لِتَطبِيْقِ قَوَاعِدِ المُحَدِّثِيْنَ فِيْ نَقْدِ رِوَايَاتِ السِّيْرَةِ النَّبَويَّةِ**، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة السادسة، 1415 هـ – 1994 م.

60. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، **إحياء علوم الدين** ، دار ابن حزم، بيروت– لبنان 2005م.

61. الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية.**

62. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 175هـ)، **كتاب العين** ، تحقيق : د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

63. فضل عباس، **القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته**، دار الفرقان، الطبعة الاولى، 1407هـ– 1987م، الأردن.

64. الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (المتوفى: 817هـ)،**القاموس المحيط** ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة الثامنة، 1426هـ - 2005 م.

- **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة 1393 هـ - 1973 م.

65. أبو القاسم، أبو القاسم الحسين بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، دار المعرفة– لبنان، تحقيق محمد سيد كيلاني.

66. القحطاني، محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، **الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف**، دار طيبة، الرياض – المملكة العربية السعودية، تقديم فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي.

67. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : 671هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة 1423 هـ/ 2003 م، المحقق هشام سمير البخاري.

68. القرني، عبد الخالق القرني ، **كشف الكربة عند فقد الاحبة** ، د. م ، مكتبة ابو بكر الصديق، الطبعة الاولى2000م .

69. القشيري، عبد الكريم بن هوازن، **لطائف الإشارات**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة، (د.ت)، بمصر، تحقيق: إبراهيم البسيوني.

70. قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق– القاهرة، عدد الأجزاء:6.

71. ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية ، **إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان**، دار المعرفة – بيروت ، الطبعة الثانية ، 1395 – 1975، تحقيق: محمد حامد الفقي

أ- **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)، دار الكتب العلمية – بيروت.**

ب-**زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة السابعة والعشرون ، 1415هـ /1994م. طريق الهجرتين وباب السعادتين**، دار السلفية، القاهرة – مصر الطبعة الثانية، 1394هـ. **الفوائد**، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، 1393 هـ – 1973 م.

ت-**مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين** ، دار الصميعي، المملكة العربية السعودية، تحقيق: ناصر السعوي، علي القرعاوي وآخرون.

ث-مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، دار الكتب العلمية بيروت. نصوح عزقول.

72. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، **تفسير القرآن العظيم** ، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1420هـ - 1999 م.

- **قصص الأنبياء**، مطبعة دار التأليف – القاهرة، الطبعة الأولى، 1388 هـ - 1968 م، تحقيق: مصطفى عبد الواحد.

73. الكلاعي، أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي، **الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء**، الطبعة الأولى دار النشر عالم الكتب - بيروت - 1417هـ. تحقيق : د . محمد كمال الدين عز الدين علي.

74. المحلي والسيوطي، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: 864هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: 911هـ)، **تفسير الجلالين**، دار الحديث – القاهرة، الطبعة الأولى.

75. مرتضى، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، دار الهداية.

76. مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، **الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم**، الناشر : دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة . بيروت.

77. المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ)، **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، المكتبة التجارية الكبرى – مصر الطبعة الأولى، 1356.

78. المنبجي، محمد بن محمد شمس الدين المنبجي، **تسلية أهل المصائب** ، دار الكتب العلمية، بيروت ،الطبعة الثانية 2005م.

79. ابن منظور، لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)، **لسان العرب**، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة – 1414 هـ.

80. ابن منظور، **مختصر تاريخ دمشق**، دار الفكر دمشق سنة 1404هـ -1984م

81. النجار، محمد الطيب النجار، **القول المبين في سيرة سيد المرسلين**، ص 146، دار الندوة الجديدة بيروت.

82. النجدي، فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النجدي، **تطريز رياض الصالحين** ، دار العاصمة للنشر والتوزيع الرياض، الطبعة الاولى، 2002 م، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد.

83. النحاس، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (المتوفى: 338هـ) ، **معاني القرآن**، جامعة أم القرى – مكة المكرمة الطبعة الأولى، 1409، المحقق : محمد علي الصابوني .

84. النووي، أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي (المتوفى سنة 676 هـ)، **تهذيب الأسماء واللغات**، ص347، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

85. النيسابوري، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، **الكشف والبيان** ، دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان، الطبعة الاولى 1422 هـ – 2002 م .

86. الهراسي، علي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبري، الملقب بعماد الدين، المعروف بالكيا الهراسي الشافعي (المتوفى: 504هـ)، **أحكام القرآن**، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1405 هـ، تحقيق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية.

87.الهلالي، مجدي الهلالي، **الابتلاء وكيف تستفيد منه الدعوات** ، مؤسسة اقرأ ، القاهرة الطبعة الأولى، 1428 هـ - 2007 م.

88.الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، دار القلم ، الدار الشامية – دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، 1415 هـ.

المصادر الإلكترونية:

1. مجلة الشرق الأوسط، الجمعة 08 ربيع الثانى 1433 هـ 2 مارس 2012العدد12148

http://archive.aawsat.com/details.asp?section=15&article=666124&issueno=12148#.XFCWlNLXLZY